ببرومينو

اسم الكتاب: **ببرومينو**

اسم المؤلف: **مي الحداد**

تدقيق لغوي: **عصام إمام**

تصميم الغلاف: **عبد الرحمن محمد**

تنسيق داخلي: **مينا تادرس**

رقم الإيداع: **٢٠٢١/٣٠٦٠**

الترقيم الدولي: **٩٧٨٩٧٧٨٤٤٢٠٤٥**

جميع الحقوق محفوظة للناشر©

أى اقتباس أو تقليد أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية يعرض صاحبه
للمسائلة القانونية والآراء والمادة الواردة.
وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالكاتب فقط لا غير.

إبهار
للنشر و التوزيع

Email: ebharpuplishing@gmail.com

تليفون: ٠١٠٦٠٢٦٧٤٠١

مي الحداد

بير و مينو

إبهار
للنشر و التوزيع

لا داعي للمقدمات؛ فلا أحد يقرؤها..

ولكني أحببت فقط أن أشـاركم أول مقالة كتبتها في صـيف عام ٢٠١١ عندما كنت أبلغ من العمر ١٣ عامًا

أنت كالكتاب الخاوي الذي سـهرت؛ لأملأه بكلماتي حتى أصـبح له معنى ولكن غرق الكتاب.. انتظرت؛ ليجف فأصبح وكأنه ملطخ بالماء وسال حبر كلماتي فتداخلت فيما بينها وأصبحت مبهمة لا تُميز ..

حتى الصفحات التي كانت فارغة أصبحت من الصعب الكتابة فيها

فأصـبح الكتاب لا يصـلح لشـــــيء لا مكانه على رفّ يعفّ عليه التراب، ولا مكانه على مكتب للقراءة إنما وضـــع في خانة الأشـــياء التي علينا التخلص منها، وفي النهاية كانت مأواه النار التي فردّت أذرعها فأخفت أي أثر لوجود كتاب فأصـــبح وكأنه لم يكن موجودًا من البداية

إهداء إلى أمي..

بجانبي حتى إذا طلعت الشمس من مغربها

شكرًا..

الفصل الأول

قُلبت الصفحة..

٢٣ من يوليو ٢٠٢٠

استيقظت في الصباح من شدة أشعة الشمس، التي تخللت من نوافذ غرفتي بعد أن اختفت الستائر وتذكرت أن الخادمة قد خلعتها بالأمس؛ حتى يتم غسلها اليوم.. ولم أكن لأغضب؛ لولا أنني كنت أحلم حلمًا جميلًا فقد تمكنت أخيرًا من الاستقلال بنفسي والعمل بجدّ ولا أحتاج أموالَ والدي وبعدها انقطع هذا الحلم؛ لأنتقل لحلمٍ آخر أجمل، عندما رأيته يقف بجوار سيارته التي تعطلت فجأة، ونزلتُ من سيارتي فرأيت شابًّا في العشرينيات أو كما قال لي هاجس في حلمي إنه في نفس سنّي طويل القامة، عريض المنكبين، شعره بُني وحينما كنت سأنادي عليه؛ وأعرض عليه أن يذهب معي بسيارتي لأقرب ورشة إصلاح كما يفعلون

في الأفلام ولكن حظّي وأنا أعرفه وإذْ بضوء الشمس آتٍ فتشتت الرؤية عندي ولم أرَ حتى وجهه...

اخجلي من نفسك يا إلينا، قليلًا؛ فأنتِ التي سكبْتِ العصير البارحة على الستائر عمدًا بعد أن تيقنتِ أن هذا الحل الوحيد؛ للتخلص من الستائر والتمتع بأشعة الشمس، أو في الحقيقة؛ لكي أُثير أعصاب والدتي.. حسنًا لن ألوم إلا نفسي الآن.

بداية رائعة كما أظن، فاليوم سأفاتح والدي في التقديم لمسابقة الفنون، التي طالما حلمت أن أتقدم إليها فأنا أتممت عامي التاسع عشر، ينقص فقط كلمة من أبي "موافق".

الآن سأذهب وأعود لاحقًا فرحة هذا ما أتمناه

غُلق الدفتر..

هذا ما كتبته إلينا في مذكراتها اليومية، طالبة الهندسة المعمارية ذات الشعر البني الطويل الذي ينساب على عينيها طوال الوقت، فترفعه بأصابع يدها الطويلة، والعيون السوداء الواسعة وبشرتها البيضاء الصافية، فمن يراها لا يستطيع تجاهل جمالها الملحوظ، فهي أيضًا تتمتع بجسم ممشوق، وضحكة تكشف عن جمالها حين تظهر كل مرة.

خرجت من غرفتها آخذة السّلم الداخلي لبيتها بسرعة كبيرة؛ لتلقي الردّ الذي تنتظره، جلست على مائدة الإفطار التي تضمّ والدها المهندس وائل، الذي يبلغ من العمر خمسين عامًا، ولا يزال محتفظًا بشعره البُني إلا من بعض الشعر القليل، الذي خذله وتحوّل للون الأبيض، عكس شعر

شاربه الذي احتفظ بلونه البُني الفاتح، وكان ذا قامة طويلة، ووجه متجهم يعطيه هيبة، كان يملك شركة للتصميم الداخلي والخارجي للمنازل، ناجحة ولكن هذا لم يمنعه من الدخول في مجال العقارات وتوسُّعه فيها، وفي اليوم الذي أصبح فيه مهندسًا كان قد علِم المجال الذي سيختاره لأولاده في المستقبل فلن يقبل إلا بالدخول في نفس مجاله، فقد أرغم ابنته إلينا على دخول الهندسة رغم أنها كانت تحلم بدخول كلية الفنون الجميلة ولكن " ماذا تفرق الهندسة المعمارية عن فنون جميلة؟!" هذا ما قاله لإلينا حين جلس ليختار لها مستقبلها، وكذلك هو أيضا الذي اختار لإلينا اسمها بسبب تأثره بالثقافة اليونانية التي طالما قرأ عنها وعشقها ويُظهر ذلك في جميع تصاميمه للمنازل التي يتعاقد أصحابها مع شركته، فلا تخلو أبدًا من النباتات والمزهريات المصنوعة من مواد طبيعية في جميع أنحاء المنزل وكذلك الأرضيات الرخام والثريات الحديدية والمداخن والكثير من الأشياء المقتبسة من الحضارة الإغريقية وبالأخص منزله الذي امتلأ بالقطع الخزفية التي رُسم عليها آلهة الإغريق كأثينا وهرقل، فاسم إلينا اسم أصله يوناني حيث يعود أصلهُ إلى هيلين وهي لآلهة الشجر إحدى الشخصيات الأسطورية عند الإغريق القدماء، ومعناه بريق الشمس أو الرائعة الجمال.

وكانت تجلس والدة إلينا " فريدة " على الطرف الآخر من المائدة التي لم يقلل العمر من جمالها الذى لازالت محتفظة به، ذات الشعر الكستنائي ووجهها الأبيض البارد الخالي تمامًا من آثار تقدّم العمر، درست الحقوق وقرأت كثيرًا في السياسة متأثرة بشخصية السلطان عبد الحميد الثاني

بموقفه مع اليهود، ورفضه لمحاولات اليهود بالاستيطان في الأراضي الفلسطينية مقابل المال عندما عرض عليه "تيودور هرتزل" رشوة بعد محاولاته العديدة لمقابلته، فالسلطان عبد الحميد الثاني صاحب المقولة الشهيرة التي وجهها إلى زعيم الصهيونية هرتزل": إن الوطن الذي أُخذ بالسيف لا يباع بالمال" ومقولة: " ما يتكرر هو الأخطاء وليس التاريخ"، وكثيرًا ما أجلست إلينا أمامها وكلّمتها عن التاريخ السياسي للدول ونظرتها فيما تراه كذبًا وأنه مجرد تشويه للتاريخ ولكن إلينا فضّلت الجلوس والإنصات في هدوء بينما تفكر فيما سترتديه اليوم مثلاً.

تنهّدت إلينا ثم قالت:

- بابا يا حبيبي كنت عايزة أقولك حاجة كده
- صباح النور
- آه صباح الخير طبعًا، بابا إنت عارف طبعًا أني بحب الرسم و.. وبقالي زمن..

قاطع صوت هاتف المهندس وائل إلينا فالتقطه إثر ذلك

- امم... تمام... جاي حالًا... مع السلامة

أنهى المكالمة ونظر لإلينا قائلًا:

- ها أضطر أقوم عشان فيه شغل مهم ونبقى نكمل كلامنا بالليل
- بس إحنا لسه ماتكلمناش أصلًا
- بالليل

ثم قَبَّلَ جبين زوجته فريدة وودعها

"بي بي إي أوورد" هي مسابقة عالمية يتقدم لها أي شخص من أي مكان حول العالم بشرط أن يكون عمره ١٩ عامًا أو أكثر وهي مسابقة للوحات الفنية يتم فيها استخدام أدوات معينة يتم تحديدها لإتمام اللوحة فمثلًا ألوان الزيت مقبولة أما ألوان المياه فلا يُقبل بها، ويتم عرض اللوحات في أحد المعارض في أوروبا، وكانت إلينا تجيد الرسم وتعشقه منذ الصغر ولطالما رسمت الكثير من اللوحات بدءًا من لوحة الشمس مع الشجر والزرع التي ادعينا جميعًا احترافنا في الرسم حين رسمناها في صغرنا إلى لوحة الوجه البشري المفعم بالحياة وإتقان ثناياه وتفاصيله، ورغم ذلك لم تجرؤ إلينا على إظهار هذه اللوحات لأحد أو كما تدعي بأن لا يوجد أحد من والديها يهتم إذا كانت تجيد الرسم أم لا أو ما الذي تفضّل أن تفعله، فوالداها مشغولان ببناء مستقبل سعيد لها فهي وحيدتهما، ولكنها لم ترَ قط هذا المفهوم المُتَّبع، إنما ترى بأنها مجرد حجة لعدم الاهتمام بما تشعر به أو ماذا تحب وماذا تكره، فالنتيجة كانت بأن إلينا تحولت لشخص يلوم من حوله دائمًا.

لم يؤثر قطع والد إلينا المفاجئ لكلامها عليها وفي الحقيقة لم تندهش لذلك، فقط حط الهدوء عليها وأحسّت أنها ابتلعت حجرًا ولكن كان كبيرًا هذه المرة.

- ماما أنا ها أطلع أجهز عشان صحابي لما ييجوا.

هزّت والدتها رأسها فيما معناه أنها سمعت ما قالته، ولم تطلب منها حتى إكمال طعامها قبل النهوض، وعند تحريك إلينا للكرسي حتى يتسنى لها الوقوف، تنهدت والدتها ثم قالت :

- صحيح ها تخرجوا النهاردة فين؟
- المدرسة يا ماما،

نظرت والدتها بتعجب وكان وجهها يظهر ما كانت على وشك أن تقوله لها " مدرسة إيه أنا فاكرة إنك دخلتي الجامعة من سنة تقريبا! مش كده برضو؟"

إلا أن ذاكرتها أسعفتها وقالت :

- آه عشان الدعوة اللي اتبعتت صح.

هزت إلينا رأسها بالإيجاب وانصرفت بدون نطق أي كلمة.

كانا يسيران آخذين الشارع لمنزل إلينا وكالعادة نور تتكلم عن آخر إنجازاتها في الكونغ فو وسارة تستمع إلى ما تقوله في هدوء أو هذا ما تبدو عليه.

سارة ونور هما صديقتا إلينا من المدرسة، لكن لم يكونوا في نفس الفصل ولم يكونوا أصدقاء أيضًا وكان من حظهم أن يكونوا في نفس الكلية في نفس الجامعة، ومن المعروف أن " اللي أعرفه أحسن من اللي معرفوش" ومن الواضح أن ثلاثتهم كانوا متوافقين مع هذا المبدأ فاتفقوا على أن يصبحوا أصدقاء أو بالأحرى فقط يخرجون سويًّا وتحكي كلًّا منهم ما يحدث معها يوميًّا بالتفاصيل " أو هذا ما يظنوه!" للأخريين فتتصنع كلًّا منهم بالاهتمام لكلامها وأنها تعطيها النصيحة الفريدة التي ستفيدها لا محالة فهذا ما يُطلِق عليه صداقة هذه الأيام.

سارة هذه الفتاة ذات الشعر القصير الأسود، الذي يتخلله خصلات تتغير لونها من وقت للآخر، كالأحمر والأزرق والأخضر أحيانًا كالحلقان

التي تتغير أماكنها بين حاجبيها وأنفها وأذنيها، تفضل الألوان الغامقة، ذات الروح المتهالكة التي تتعايش مع طلاق أبويها منذ ٤ سنوات وزواج أبيها من فتاة عشرينية تقاربها في العمر، فسارة لا تشتكي من شيء تقريبًا، فمشكلات الحياة لا تمثل لها أي شيء غير أنها أشياء تافهة يتحدث بها الناس في سياق درامي رخيص؛ ليعطوا أهمية لحياتهم الخاوية.

أما نور فهي فتاة عادية لا يوجد ما هو غريب عند النظر إليها من بعيد، ذات شعر ناعم أسود يتحرك عندما تهب نسمة، ذات قوام طويل، وعيناها ضيقتان فيظن الآخرون بأن أحدًا من والديها منغولي الأصل، بارعة في شرح المواقف بطريقتها الخاصة فتضحك من حولها، لا يوجد شيء مثير للاهتمام في حياتها، فقط تسخر من كل شيء لتكسر حدة أي موقف.

وصلتا لمنزل إلينا ورنت سارة الجرس فردّت الخادمة وأدخلتهم في الحال فتوجهتا لغرفة إلينا وطرقتا الباب فردّت إلينا:

- ادخل.

ففتحتا الباب ودخلتا لتقول نور:

- إيه ادخل اللي من غير نِفس دي .

و ذهبت نور وجلست بجوار إلينا على السرير كعادتها وأسندت سارة ظهرها إلى المكتب وأردفت بصوتها الناعم المصحوب ببحة خفيفة التي تجعل منه صوتًا مميزًا.

- إيه مش هاتقولي ما لك؟

- أنا تمام بس حاسة أن الإجازة هاتبقى مملة.

لم تفوت نور هذه الفرصة للسخرية فردّت قائلة:

- واخدين الإجازة من كام يوم وإنتي شايفة أنها مملة! إجابة منطقية بصراحة.
- عشان شكلي كده مش هاأعمل فيها أي حاجة.
- طب يلا عشان نشوف هاتلبسي إيه عشان مانتأخرش على حفلة طارق.

كان المكان يعجّ بالناس فمنهم الطلاب التي كانت المدرسة لهم أشبه بالجحيم ويكررون أنها كانت أسعد أيام حياتهم لا محالة ومنهم مَن لا يتذكر شكل المدرسة فهو كان يقرر كل يوم الذهاب ولكن لم يحب الاستيقاظ صباحًا واتخاذ قرار استكمال النوم، فيوم واحد لن يؤثر والاستمتاع بمشاهدة غيره من المعذبين يتركون سرائرهم ويهومون على وجوههم ذاهبين إلى هذا الكابوس الأصغر " بالطبع الأكبر هو الجامعة "، ولن ننسى هذا النوع من الطلاب الذين طالما اقتنعوا أن المدرسة هي ساحة الحرب وإما أن تثبت إنك الأفضل بلا منازع أو تطحن بين الأقدام، ويوجد هذه الطبقة من الطلاب الذين لا يزالون معذبين في هذا السجن الأصغر، ينظرون لبقية الطلاب المتخرجين نظرة حسد وحقد؛ فهم يحلمون بأن يصلوا إلى مكانهم ولكنهم سيندمون على كلامهم هذا قريبًا بالطبع، ويشتركون جميعهم في أن المدرسة لم تكن بهذا السوء بعد أن ذاقوا الحياة في الجامعة وأن المدرسة أصبحت مجرد ذكريات تتخلد في ذاكرتنا نسترجعها من حين لآخر، فنحن البشر هكذا حين نتخلص من مصيبة نردد بأنها لم تكن بهذا السوء.

وهناك يقف المعلمون يظهرون الابتسامة التي خبؤوها طوال العام وراء الوجه العابس أو المتصلب أحيانًا؛ ليعطيهم مظهرًا مهيبًا أمام طلابهم لدرجة أن الطلاب يعتقدون أن معلميهم قد أصابهم شيئًا أو من يقفون أمامهم من أشخاص باسمة مرحة، هم مجرد أشباههم لا محالة.

كانت البالونات السوداء والحمراء تظهر في كل مكان من المدرسة متراصة مُعطية شكل حلقة على الأبواب أو متناثرة على الأرض، وهناك ترتكز الطرابيزات في الأرض محملة بالكثير من أطباق الحلويات وأطباق فارغة حتى يتسنى للطلاب تعبئتها، وهناك أيضًا بجوارها تتراص طرابيزتان مملوءتان بالمشروبات المختلفة والأكواب الملونة الفارغة، ولن يكمل المكان إلا بهذا الشاب الذي لا يشعر بكل ما في المكان من أصوات المتواجدين ولا بالحلوى التي تصارع عليها الطلاب الأصغر في السن أو حتى بالناس الذين في المكان، فهو يضع سماعات الأذن ويستمع إلى قائمة الأغاني التي اجتهد في تحضيرها بالأمس ويتراقص عليها بجسده وكأنها تسري فيه متقمصًا دور David Guetta ولكن في الحقيقة هو لا يصلح حتى لشخص يجلس لإغلاق وتشغيل الأغاني حسب أجواء المكان ولكن سأعطيه حقه، فهو نجح في اختيار موسيقى صافية تتلاءم مع هذا الوقت من النهار؛ لذلك توقع الحاضرون أن الكارثة ستكون ليلًا.

دخلت إلينا وصديقتاها ووقفوا؛ ليشاهدوا الصورة الكاملة للمدرسة التي لم تعطِهم فرصة لنسيانها؛ فمنذ أن انتهوا من الدراسة بها والتحقوا بالجامعة تقام عدة حفلات في الصيف يدعون فيها الطلاب المتخرجين منها حتى تزيل أي آثار لنسيانها.

وقفت إلينا تمسح المكان بعينيها، بنظرات خاوية وكأنها ترى مكانًا مهجورًا هادئًا مملًا وبجوارها سارة مغمضة العينين، مبتسمة، تتحرك يديها حركة خفيفة مع الموسيقى ثم قالت نور:

- طارق عمل حاجة جديدة أهو، اللي في النص دي هاتطلع نافورة، ما هو مش لاقي حاجة يعملها أصلًا.

كانت نور تشير إلى شيء كبير مُغَطى بغطاء أسود لا يُظهر ما تحته، وكان طارق مدير المدرسة يحوم هنا وهناك مرتديًا بذلة سوداء وقميصًا أبيض يُظهِر " كرشه" المتدلي فوق سيقانه القصيرة الممتلئة ناظرًا بابتسامته العريضة كما لو إنه مُنِحَ براءةً؛ لاختراعه العظيم الذي يخبئه تحت هذا القماش الأسود منتظرًا اللحظة المناسبة للكشف عنه الذي سيتبعه بطبع التصفيق الحار.

استمرت الأجواء الشبه هادئة في المدرسة حتى ودعت الشمس السماء تاركة ضوءًا خفيفًا في ساعة.

و قبل أن يهم شاب "الدي جاي" بإظهار قائمته الخارقة، أمسك مستر طارق المايك وبدأ كلامه بإسكات مَن في المكان حتى يتسنى له قول ما يريد ثم وقف عند الغطاء الأسود وقال:

- أهلًا وسهلًا بكل الموجودين النهاردة، وأولادي اللي منوريني دايمًا وخاصةً الأساتذة الكرام والعاملين مش ناسيكو طبعًا، النهاردة أنا جايبلكم مفاجأة معايا مش زي كل مرة لأ.. دي حاجة بتشوفوها بس في الأفلام.. طبعًا الفضول قاتلكم من الصبح أنا واخد بالي.

* صوت صرصور الحقل *

وأردف: والله كان نفسي ألعب معاكم عروستي بس يلا عشان ماتصعبوش عليا وإنتو مستنين كده

صوت صرصور الحقل تاني

وأردف: محمد، تعالى شيل الغطا ده؛ عشان أنا نفسي اتحمست

وما أن أُزيل الغطاء كُشِفَ عن بئر كبير مبنى داخل الأرض بني اللون أشبه بالبئر الذي أُلقيت فيه سمارا في فيلم the ring، أحس الطلاب أن مستر طارق لم يجد أفكارًا جديدة، فقرر أن يُلقي بهم في النهاية في هذا البئر.

ثم أكمل كلامه وهو في غاية السعادة بعد إظهار البئر:

- قربوا عشان تتفرجوا كلكوا.. ده يا ولاد بئر الأمنيات طبعًا إنتو عارفينو أكتر مني.. كل المطلوب أن اللي عنده أمنية يرمي فلوس بس تكون " كوين" ويتمناها والبير هيفضل هنا.. بعد كل شهر هنلم الفلوس اللي فيه ونتبرع بيها للأطفال المرضى في المستشفيات.. فيا ريت يا أولاد اللي يتمنى أمنية يكون في نيته أن فلوسه دي تساعد طفل بيحارب المرض.... يلا كله يتجمع ويتمنى اللي هو عايزه

قالت نور بوجه متحمس :

- بصراحة حلوة الحركة اللي عاملها.

فردّت عليها سارة ظاهرة وجهها البارد:

- مش أوي كده.

ردّت إلينا بوجه بارد لا يختلف كثيرًا عن وجه سارة:

- معاكي حق مش بعيد ياخد الفلوس لنفسه.

ردّت نور:

- ما أعتقدش؛ لأنهم هايطلعوا كام يعني في الآخر، المهم نخلي نيتنا إحنا إننا بنساعد

فردّت إلينا ساخرة:

- نور قلبت طيبة خالص يا سارة، شكلها فاكرة البير ده هايجبلها العربية اللي باباها مش موافق عليها.

ضحكت سارة بينما نظرت نور لإلينا نظرة باردة مما تعني "سخيفة أوي"، ثم أخرجت ثلاثة عملات من جيبها وأعطتها لهم قائلة:

- أنا طيبة أصلا وهديكوا كمان.

وقف مَنْ في المدرسة من طلاب متزاحمين أمام البئر، منهم مَن تسارع وألقى بالعملة؛ لأنه يعلم أمنيته بالتحديد ولم يتردد في أن يتمناها بينما هناك مَن وقفوا؛ ليفكروا في أمنية؛ ليقوموا بهذه التجربة.

انتظرت إلينا وصديقتاها حتى خفّ الزحام حول البئر وكانوا في تلك الأثناء يلقون التحية على أصدقائهم من نفس الصف وكلٌّ منهم يتحدث عن كُليته ونظام جامعتهاً ثم تقدمتا ممسكتين بالعملات المعدنية، وأغمضت كلتاهما عينيها؛ كعادة نفعلها لكي نعزل أنفسنا عن الواقع؛ ولتصفية ذهننا، ثم فتحتهن مرة أخرى وألقتا العملة.

استمرت الموسيقى الصاخبة والأنوار الملونة داخل المدرسة حتى حلّ المساء وأصبحت الأعداد أقل بمرور الوقت.

قالت نور في ملل:

- مش هانروّح بقى يا جماعة.

فردّت إلينا بوجه متجهّم:

- أوف.. أنا مش عايزة أرجع البيت ده تاني بصراحة

ردّت نور:

- يا إلينا متكبريش الموضوع كله هيبقى تمام، ها كل واحدة هتقول اتمنت إيه.. ها إنتي يا سارة، الأول.

ردّت سارة قائلة:

- أنا اتمنيت أن الفلوس دي فعلًا تروح للأطفال المرضى

ردّت نور :

- بجد.. آاه سوو كيوت، وإنتي يا إلينا.

قالت إلينا:

- لا خليني أنا أكمل الفيلم الفانتزي ده وما هأقولش عشان تتحقق، وإنتي بقى .

فقالت نور:

- أنا.. أكيد أن بابا يوافق يشتري لي العربية.

فضحكن وأخذت كلًّا منهن الطريق لبيتها.

قبل أن تصل إلينا للبيت كانا والداها يتحدثان عن العمل، وآخر أخبار المبيعات والحالة العامة للشركة، عندما أحس المهندس وائل بالإرهاق فقال لزوجته:

- أنا هاطلع أنام بقى.

- طب والعشا.. إلينا زمانها جاية ونتعشى كلنا سويًّا.

- لا أنا مش جعان بالهنا والشفا إنتو بقى.

رنّ جرس المنزل.

- شكل إلينا وصلت.

فتحت فريدة الباب لإلينا التي سارعت بالدخول وبدون إلقاء حتى التحية وعندما كان يهم والدها للصعود على الدرج الداخلي للمنزل، أوقفته وقالت له بنبرة فيها استياء:

- بابا، ممكن أتكلم معاك في موضوع قبل ما تطلع.
- أنا تعبان يا إلينا، خليها بكرة.
- لا مش هاستنى بكرة.. ممكن تسمعني بقى.
- وأنا من امتى مش بسمعك يا بنتي.. المهم أنا مش فايق دلوقتي.
- وبكرة برضو مش هاتبقى فايق ولا بعده ولا بعده.
- قولي يا إلينا بسرعة.
- أنا عايزة أقدم في المسابقة اللي كلمتك عليها الصبح.
- مسابقة إيه دي.

ردّت متأففة:

- مسابقة الرسم يا بابا،
- إلينا إنتي مش مدركة لحد دلوقتي إنك في جامعة وكبرتي وبكرة تتخرجي ووراكي مسؤليات أهم بكتير.

ضيقت عيناها مما يدل على عدم استيعابها لما يقوله ثم قالت :

- يعني إيه؟
- يعني فكّري بس في مذاكرتك ومستقبلك.. وسيبك بقى من الرسم والكلام الفاضي ده

- بس ده مش كلام فاضي ده الحاجة اللي بحبها.
- إنتي مهندسة و..

قاطعته إلينا متكلمة بنبرة بها حِدة وغضب مانعة دموعها من الانهمار أمامها:

- أنت اللي كنت عايزني أبقى مهندسة مش أنا وقلت ماشي؛ عشان أكيد أنت عارف مصلحتي زي ما بتقول بس طلعت غلطانة وندمانة إني سمعت كلامك.

سكتت وواصلت كلامها بصوت متحشرج :

- بابا،..أنت حتى فاكر عيد ميلادي امتى، طبعًا ده مش سؤال ده أنت ماتعرفش حتى أنا عندي كام سنة، ده برضو عشان مصلحتي؟

ردّت والدتها في غضب:

- إلينا إنتي إزاي تتكلمي مع باباكي كده.

قال والدها في هدوء مؤقت:

- طب مادام إنتي مقررة اللي هتعمليه ومش هامك حد جايه تقولي لي ليه؟
- عشان أنا محتاجة أكيد فلوس عشان أقدم.. زي ما أنت عارف الفلوس مهمة

خرج عن هدوئه وبدا عليه الغضب قائلاً:

- وأنا مش موافق ومفيش فلوس.. والموضوع انتهى يا إلينا.
- إنتو إيه!! ده بدل ما تسألوني أنا ليه عايزة أقدم.. ماسألتش نفسك أنا ليه بحب الرسم.. وإنتي يا ماما مش نفسك تشوفي رسمي!!

- أنا عارف مصلحتك إنتي لسه طفلة مش عارفة حاجة.
- أنا مش طفلة وأنت مالكش الحق إنك تتحكم فيا.. بجد بكرهكوا يا ريتكوا ما كنتوا موجودين
- إلينا اطلعي على أوضتك حالا.
- هاتندمي يا إلينا على كلامك ده.

صعدت إلينا إلى غرفتها مسرعة، وأغلقت الباب في عنف وجلست على سريرها، تمالكت نفسها لثوانٍ قبل أن تنفجر بالبكاء وأخذت تتحدث إلى نفسها بصوت مسموع.

"مستحيل دول يكونوا أب وأم أنا بجد بكرههم لو ماتوا حتى مش هازعل عليهم.. أو لا خليهم هما يعدوا في الفلوس بتاعتهم وأغور أنا أحسن عشان يرتاحوا "

أخذت إلينا تفتح خزائن غرفتها وتبحث عن أدوية في مكان بغرفتها ثم جلست تجمع الأقراص في يديها حتى أصبح عددًا لا بأس به وعندما همت لترفعهم؛ لتقوم بابتلاعهم ألقت بهم بعيدًا؛ ليتناثروا بكل مكان في الغرفة ثم عادت لتحدث نفسها باكية " أنا بكره نفسي أنا جبانة أنا جبانة بجد يا ربي بقى.."

ثم قامت ورفعت الغطاء عن سريرها الذي تمددت عليه، ثم غطت به نفسها بالكامل وأغمضت عينيها؛ لتتساقط قطرات من دموعها محدثة بللًا على وسادتها، لم يمر كثيرًا حتى غطت في نوم عميق.

الفصل الثاني

اليوم ٢٤ من شهر يوليو ٢٠٢٠.. أو كما تظن إلينا!
الشمس ساطعة، والسماء صافية وتحوم نسمة هواء؛ لتلطف حدة ضوء أشعة الشمس التي تمسح الأرض.
تخللت أشعة الشمس من شباك الغرفة الزجاجي، الذي يأخذ عرض حائط كامل بالغرفة؛ لتقوم الشمس بمسحها بأشعتها القوية، فتنير أرضيتها التي من الباركيه وجدرانها البيضاء المعكرة بنقوش عليها رسوم لأزهار بالكامل ويظهر السرير المتربع في منتصف الغرفة، الذي يرتكز ظهره الخشبي أبيض اللون للحائط، الذي يظهر وجهه الآخر الأبيض وكأنه متناثر عليه أزهار الجير بيرا الوردية المتطايرة بفعل الرياح، والملاءة البيضاء يعلوها غطاء أبيض من الحرير، يُظهر لمعانًا خاصًّا بفعل أشعة الشمس وعلى الجانب الآخر المواجه للشباك يوجد ممر صغير في نهايته

غرفة أخرى، مساحتها تعادل مساحة الغرفة الأصلية أو تصغرها قليلًا، متراصة فيها رفوف خشبية من خشب البلوط الأبيض المطلية باللون الأبيض مُبطنة ببطانة رفيعة بيضاء، عليها بعض الأزهار الوردية، البطانة من الإسفنج الصناعي، مثبتة على خشب الرفوف المقسمة بشكل منظم، تغطي عرض جانب كامل من أحد الأربع حوائط للمكان، كل رف من هذه الرفوف مُقسم لعدد من الأقسام تشبه الخزائن كلًّا منها تحمل ملابس لها نفس درجة اللون متراصة بعناية، وعلى الحائط المقابل يوجد دولابًا أبيض بعرض الحائط ضلفه شفافة زجاجية مُعَلق فيه الفساتين بألوانها وأشكالها المختلفة، وعلى الحائط الثالث توجد رفوف مقسمة أيضًا، ولكن يقل حجم أقسامها عن أقسام رفوف الحائط المجاور لها، متراصة فيها أحذية على أن يكون أقسام كل رف تحمل نفس لون الأحذية التي تحتويها، وعلى الحائط الأخير الذي به الممر تلتصق مرآة طولها حوالي ١٨٠ سم من أرضية الغرفة بجوارها منضدة منخفضة بها أدراج توضع فوقها بعض أدوات التزيين ومستحضرات التجميل والعناية بالبشرة وتوابعها، كما يوجد حمّام صغير بداخل الغرفة، جدرانه وردية اللون.

لايزال ضوء الشمس مقتحمَ الغرفة بقوة؛ حتى استيقظت إلينا واضطربت جفونها على أثره وأخذت تتمتم:

- إيه ده هم لسه ماركبوش الستاير كمان.

و جاهدت، لتفتح عينيها التي أخذت بعض الوقت؛ لترى صورة واضحة لغرفتها، وعلى الرغم من بياض الغرفة وضوء الشمس الذي

زادها نورًا ذُعِرت إلينا ورفعت جسدها جالسة على السرير متفقدة بعينيها جميع أجزاء الغرفة.

بدأت تلقي نظراتها الخائفة على كل شيء بالغرفة ثم نهضت من على فراش السرير، تاركةً الفراش الحريري مبعثرًا فزادته أشعة الشمس جمالًا ولمعاناً.

أخذت تنظر على أرضية الغرفة، فلم تجد الحبوب التي ألقتها عليها البارحة، ثم شعرت بسخافة ما تفعله، فهي ليست في غرفتها في الأساس، ثم أخذت تتحرك بخطوات بطيئة، ولاتزال تنظر حولها ثم اقتربت من الباب ممسكة بمقبضه المعدني، وضربات قلبها تتسارع مع بعضها فُتح الباب وظهر سلم حلزوني خشبي، وعلى الدرابزين نقوش لبعض أنواع الزهور المنحوتة بدقة أخذت إلينا السلم ممسكة بالدرابزين بيدين مرتجفتين وما إن انتهت من السلم حتى وجدت نفسها في صالة ضخمة يوجد بها عدة أبواب وشبابيك، ينفذ منها ضوء الشمس فظهرت الصالة منيرة تماماً.

توجهت إلينا ناحية باب خشبي، عريض في نهاية الصالة، يظهر عليه نقوش لأوراق شجر تتطاير مع حركة الرياح مصاحبة لها بعض الأزهار الصغيرة أيضًا، ثم فتحته فرأت مساحة من العشب ليست صغيرة مزروع فيها بعناية زهور معمرة كزهرة الزعفران بلونها البنفسجي يجاورها زهور الزنبق الحمراء، التي تشير للحب وكان الأبيض منها موجودًا أيضًا مستندًا على دعامات؛ حتى لا تضعف أو تنكسر بفعل الرياح يتتابعها زهور أدونيس أمور الصفراء وكذلك زهور النرجس البرتقالية، وكانت

هناك زهور البنفسج تملأ الحاويات الخاصة بالأزهار تضفي لونًا رائعًا على المكان بشكل خاص، عندما تقع أشعة الشمس عليها فتعطي لمعانًا، كانت جميع الزهور مشكلة على شكل شرائط طولية، بجوار بعضها، تعطي بهجةً للمكان بشكل خاص؛ بسبب تناغم ألوانها الزاهية، لم تكن إلينا لتصدق يومًا بأن ترى مثل هذه الأزهار معًا، مزروعة بعناية هكذا، فكانت أقصى أمنياتها أن تمتلك واحدة أو اثنتين من أزهار الربيع، ولكن حين عرضت الفكرة على والديها وجدا أنها ليست فكرة للنقاش أصلًا، فهما اختارا أشجارًا عملية أكثر لتُزرع في بيتهما، استوقفها هذا المنظر الجميل ونسيتْ للحظة بأنها في مكان غريب تجهله؛ حتى أنها تجهل كيف أتت إليه، تذكرت أنها ربما تجد والديها في هذا البيت فدارت برأسها لداخل البيت وأخذت تنادي عليهما ولكن بلا جدوى فلم تجد صوتًا آخر صادرًا غير صوتها.

فتحت الباب الخارجي للبيت لتجد شارع واسع فقط يوجد به بيوت متشابه بالكاد تستطيع التفرقة بينها ويوجد بعض الناس المارين في الشارع ولكن لم تكن إلينا تعرف هذا الشارع ولم يكن حتى مألوفًا لها، لازالت عينا إلينا شاخصةً لا تعرف ما هذا المكان أو ما الذي أتى بها إلى هنا، تركت باب البيت مفتوحًا وأخذت تقطع الشارع بخطوات ثابتة غير منتبهة لأقدامها الحافية ملتفتة ببصرها إلى كل شيء في الشارع ثم شعرت بهذا الشعور المقلق الذي يراودنا حين نخرج في الشارع بمفردنا، ونرى الناس ينظرون لنا؛ فقد شعرت بأن هناك خطب ما في شكلها، ولكن ما هي فيه كافٍ؛ ليجعلها مرتعبة، وأثناء سيرها سمعت أحدًا ما ينادي

باسمها فتوقفت في مكانها ولكن لم تميز مَن المنادي؛ حتى نادى مرة أخرى، فالتفتت؛ لتتأكد من هو.

فرأته ينظر لها باسمًا ثم قال:

- إيه خارجة رايحة فين كده ومش مركزة.

ثم نظر لقدميها وقال متعجباً.

- لا وكمان حافية.

ردّت عليه إلينا بنظرة متعجبة:

- يوسف!

تعالي دي ندى عاملة فطار جامد

أخذت تنظر له في صمت فأردف :

- مالك مخضوضة ليه بس.. تعالي

ذهبت إلينا مع يوسف إلى بيته، كما فهمت من كلامه، والذي اكتشفت إنه البيت المجاور للمنزل الذي استيقظت فيه، يوسف هذا الشاب الذي يبلغ ٢٧ عامًا ذو الوجه البارد، طويل القامة، وأسمر اللون، ذو لحية وشارب خفيفان، وشعر أسود ناعم، يتسم بالصبر والهدوء ودائمًا ما كانت تلجأ إليه إلينا، وتحكي له كل شيء تمر به، فهو كان صديقها وبمثابة أخيها الأكبر.

عندما رأته إلينا شعرت بالأمان بعض الشيء وأحسّت أنها وجدت أنسب شخص؛ ليساعدها في فهم ماذا يحدث؟! ولكن شعرت بغرابة؛ فيوسف يتعامل وكأنه لا يوجد شيء مختلف وأنه من الطبيعي إنه يسكن بجوارها

وأنه يعيش مع ندى التي قُطعت العلاقة بينهما من حوالي سنتين وأنهما يسكنان في شارع ومدينة غريبتين لم تصادفها من قبل.

دخلت إلينا منزل يوسف بعد أن سلّمت عليها ندى، وجلسا على مائدة الطعام، وكانت ندى تضع طعامَ الإفطار، كانت إلينا تنتظر تفسيرًا من يوسف لكل ما يحدث ولكنه كان طبيعيًّا تمامًا لا يشغل باله أي شيء وكأن ما يحدث هو من المفترض أن يكون، وقعت عينا إلينا على يد يوسف لتجد خاتم زواج " دبلة " في يده اليسرى فكانت ستهم بشن هجوم عليه من الكلمات المتتابعة بأنه كيف يتزوج دون أن يخبرها ولكن أحسّت إنه من السخيف أن تسأله عن ذلك الآن وسط زحمة علامات الاستفهام التي تجول في رأسها.

جلست ندى معهم على المائدة بعد أن انتهت من تحضيرها وبدأ كلًا من يوسف وندى بالأكل وإلينا تستمر في النظر إليهم في تعجب فيبدو عليها لمن يراها كأنها ترى أحدًا يأكل لأول مرة، فنظر لها يوسف بعد أن ابتلع ما في فمه من طعام وقال لها:

- إلينا مابتكليش ليه؟!

- يوسف.. ممكن تيجي بره نتكلم شوية.

- طيب.. حبيبتي هاطلع أتكلم مع إلينا شوية وجايلك تاني

خرجا إلى حديقة المنزل فقال لها:

- فيه إيه يا إلينا ما لك؟

ولكنها سكتت فقال لها:

- ناوية تتكلمي امتى؟

- ندى بتعمل إيه عندك جوه؟
- نعم!
- رجعتلك تاني امتى؟ والدبلة اللي في ايدك دي معناها إنك متجوز ندى مثلا؟
- مثلاً!، إنتي خبطي راسك في حاجة الصبح؟
- طيب إحنا فين؟ يعني شارع إيه ده
- الشارع اللي ساكنين فيه
- لا والله؟.. أيوة فين برضو ده وبابا وماما فين؟
- أنا مش فاهم حاجة.
- البيت اللي جمبك ده بيتي؟ أصل فعلًا هو ده البيت اللي كان نفسي فيه بس برضو اتبنى امتى، وأصلًا مفيش حد يعرف أن ده البيت اللي نفسي أعيش فيه.

سكت يوسف ولم يرد فأردفت إلينا:

- أوكي آخر سؤال.. النهاردة كام في الشهر ويوم إيه؟

ارتخت تعابير وجه يوسف ظنًّا منه بأنه فهم أخيرًا ما تقصده فردّ قائلاً:

- يا نهار أبيض يا إلينا، والله فاكر مانستش.. ما عشان كده اتصلت بيكي إمبارح عشان تجيلي النهاردة.. متسأليش أكتر من كده عشان المفاجأة ماتبوظش.
- مفاجأة إيه؟ وبعدين أصلا إنت ماكلمتنيش امبارح
- خلاص خلاص فهمت إنك مقموصة.. يلا ندخل جوه وبعد شوية هتعرفي كل حاجة

ثم سحب يوسف إلينا من يدها، ولكن أثناء ذلك رأته نائمًا على الزرع في الحديقة، يلمع لونه بفعل وقوع الشمس عليه.

- يوسف.. أنت عندك كلب.

- ده ليو يا إلينا.. وسبتيه عندي إمبارح لو عاملة نفسك مش فاكرة.

ذهبت إلينا ناحيته؛ لتداعبه فاستيقظ على إثرها ثم قالت:

- بتاعي!!.. الله أنا كان نفسي يبقى عندي كلب أوي.. قولت لي اسمه ليو؟

فتمتم يوسف بصوت منخفض

- لا إلينا اتجننت بجد.

كانت تجول نسمة هواء، محملة برائحة جميلة تشير للربيع مناسبة لهذا اليوم المميز، راحوا ليفتحوا باب بيت إلينا، مُستخدمين المفتاح الذي لدى يوسف وأخذوا يجهزون البيت؛ لأجواء الاحتفال مُضيفين الزينة والبالونات وقالب الحلوى الذي كان عليه صورة إلينا مع أصدقائها من عيد ميلادها السابق، وفي تلك الأثناء كانت إلينا لاتزال في بيت يوسف، وكانت ترتدي فستانًا أعطته ندى لها بحجة إنه لدى ندى، ولكن أرادت من إلينا أن تجربه؛ لأنها تريد أن تراها به، كان فستانًا قصيرًا أحمر متناغمًا تمامًا مع لون بشرة إلينا البيضاء وشعراء الطويل، كان يوسف قد خرج من المنزل ثم عاد ودخل البيت مهرولًا ثم قال:

- إلينا تعالي معايا بسرعة

- في حاجة حصلت ولا إيه

- يلا يا ندى، إنتي كمان.. لما نروح البيت عندك هاقول لك

طب استني أغير الدريس وألبس هدومي

- مفيش وقت يلا

دخلوا البيت ليجدوه مظلمًا تمامًا، ثم أُضيئت الأنوار وسمعوا عبارة happy birthday Elina بصوت عالٍ صادر من مجموعة كبيرة من الأشخاص الذين كانوا يختبئون في مناطق من البيت وأثناء قول العبارة، نثروا المفرقعات الملونة وتعالت الأصوات من كل شخص على حدة بعبارات ك " كل سنة وإنتي طيبة يا إلينا " و" عقبال مليون سنة يا إلينا " وكل ذلك وإلينا في صدمة وزادت دهشتها أكثر عندما رأت مُعلقًا كبيرًا مكتوبًا عليه "happy 20th birthdayELINA "

كان هناك الكثير من الناس داخل المنزل، فيهم من كان منشغلًا بالكلام مع آخر ومنهم من وقف ليضرب مفرقعات الزينة ومنهم أيضًا من كان منشغلًا بأشياء أخرى.

فقالت إلينا لنفسها بصوت غير مسموع :

- بس أنا لسه عندي ١٩ سنة والنهاردة مش عيد ميلادي أصلًا

لم تستطع سؤال يوسف عما يحدث فالمكان كان صاخبًا، ونظرت لمن في المكان فوجدت أناسًا كثر، لم تكن العلاقة بينها وبينهم قوية لهذه الدرجة وكذلك لم يحصل من قبل أن أصدقاءها من المدرسة حتى أيضًا كل مَن في نفس فصلها يقومون بمفاجأة لها في عيد ميلادها، فإن حدث وقام أحدهم بترتيب مفاجأة لعيد ميلادها، سيكون الحضور من المقربين القليلين فقط، هي تعلم أن هذا ما تمنته، ولكنها لا تشعر أن ما يحدث منطقياً، لم يدُم تفكيرها طويلًا فكان آتيًا ناحيتها ونظرات كل من في المكان

عليه، كان طويل القامة، بشرته بيضاء اللون، يمشي مشية بها ثقة؛ فعضلات منكبيه تمده بهذه القوة حتمًا، وشعره الأسود الناعم ونظرته الجذابة تتماشى مع ضحكته وصوته الأجش المصحوب بنوع من الهمس، اقترب من إلينا التي لاتزال غير مدركة لما يحصل ثم لفّ ذراعه حول خصرها، وقبّلها من وجنتيها، وهنأها فتعالى التصفيق والهتافات، ولكن يوسف لم يكن ممتنًا كثيرًا في هذه اللحظة.

- أنا اللي جهزت كل حاجة المرة دي يا حبيبتي.. إيه رأيك؟

لم تنطق إلينا بكلمة، فهي كانت من المفترض أن تصفعه، ولكنها ثبتت في مكانها وأحسّت أن عقلها قد توقف في تلك اللحظة كما أنها أحسّت أن ذلك من الطبيعي أن يحدث عندما نظرت في أعين مَن في المكان، واضطرت أن تتماشى مع ما يحدث، لكن هذا لم يمنع تحول تعابير وجهها فكانت تظهر وكأنها تعرضت لصدمة، فقال وهو ينظر لها:

- إلينا أنا كنت فاكرك هتبقي متوقعة.. أنا عارف أن كل عيد ميلاد ليكي كان بيتعمل لك سيربريس بارتي.

نظرت إلينا نحوه وعلامات الذهول لازالت على وجهها فأردف:

- بس الفرق عن أي سنة فاتت إن أنا موجود يا حبيبتي

ثم نظر لمن في المكان وقال:

- قولت لكوا إن إلينا هتفرح النهاردة أكتر من أي سنة فاتت عشان أنا موجود بس اعترفوا

فتعالت ضحكات مَن كانوا في المكان وبدأت إلينا تظهر بعض الابتسامات؛ حتى لا تظهر جاحدة على الرغم من أنها كانت تظن لآخر

لحظة أنها إحدى حلقات برامج المقالب وأن كل هذا مجرد تمثيل مُتقن أخرجها صوت يوسف من تفكيرها:

- يخربيت دمك اللي يلطوش

على الرغم من إنه كان يهمس ولكنها سمعته، وقفت إلينا أمام قالب الحلوى بعد أن انطفأت الأنوار وبدأ جميع الموجودين حولها بالغناء؛ وهي في محاولة لإظهار امتنانها لهم، ثم أتى وقت الأمنية، ولكن في هذه المرة لم تتمنَ الأمنية نفسها كباقي أعياد ميلادها، ولكنها تمنت شيئًا لم تتوقع أن تقوله يومًا وهو أن يكون ما تعيشه الآن حقيقة وأن تظل حياتها كما هي عليه، أكملت إلينا الليلة دون أن تسأل أحدًا عمّا يحدث منخرطةً مع الأجواء حتى انتهزت فرصة أن لا أحد منتبهًا لها، وصعدت للغرفة، وجلست على الأرض، وأخذت تفكّر بكل ما مرّت به اليوم، فهي لم يمر عليها عيد ميلادها، وقام بتهنئتها عدد أكثر من عشرة أشخاص، ولم يقم أحد بمفاجأتها قط، وكيف يوسف متزوج من ندى؟ على الرغم إنه مر حوالي سنتان على تركهم لبعض ومَن هذا الشخص الذي تصرف وكأنه حبيبها؟ وكيف اليوم عيد ميلادها أصلًا؟!، ولكن أيضًا المنزل الذي تقطن فيه هو كما تمنته حتى مَن كان ينادونه محمد هو نفس مواصفات من تمنت أن يكون حبيبها ولكن كيف لكل هذا أن يحدث؟!، ثم أخذت تتكلم مع نفسها بصوتٍ خافتٍ:

- مش هانكر أن كل اللي بيحصل ده يفرحني زي ما بكون بحلم.. بس أنا عارفة ومتأكدة إني مش في حلم دلوقتي.

طرق الباب ثم دخل وجلس بجوار إلينا على الأرض مبتسمًا وقال لها وهو يحرك خصلة شعرها المنسابة على عينها:

- هربتي ليه وطلعتي هنا.

فاعتدلت في جلستها؛ كحركة لإبعاد يده وقالت:

- عادي.. مانمتش كويس فتعبانة

- ألف سلامة عليكي، هانقعد هنا شوية وبعدين ننزل عشان ماينفعش ماتكونيش موجودة

ثم ضمّها ناحيته ووضع رأسها على صدره فازدادت إلينا توترًا ثم عادت؛ لتكلم نفسها بصوت غير مسموع:

- هو المفروض أقوم؟.. ده واحد معرفوش

ظلت هكذا لبضع دقائق مترددة لا تستطيع اتخاذ قرار؛ حتى أنقذها من الصراع الذي يدور بداخلها وقال لها:

- يلا ننزل

سرعان ما هزت رأسها بالموافقة ونزلا؛ ليكملا الحفلة مع باقي الموجودين فيها.

في اليوم التالي

٢ من مايو ٢٠٢١

كان صباحًا مشرقًا تلوح بالأرجاء رياح خفيفة، تُحرك الأشجار، فتصدر صوتًا مريحًا للأذن عند سماعه، خرجت من سيارتها مرتديةً ثوبًا أبيض يليق بأجواء موسم الربيع، يتمايل مع الرياح ثم مرت من الباب الخارجي

عابرةً إلى الحديقة، وبعد أن داعبت ليو طرقت الباب ففتحت لها ورحبت بها ثم أدخلتها، لم تكترث إلينا كثيرًا بأن سارة مرتدية ملابس بيضاء ومبتسمة! فهي لم ترَ شيئًا حتى الآن كما هي كانت معتادة عليه، جلسا لتحكي لها سارة كيف قضت عطلة نهاية الأسبوع الماضي مع عائلتها وكيف فاجأ والدها والدتها بأن ارتدى نفس الملابس التي ارتداها لأول موعد كان لهم، كانت تسمعها إلينا وهي في غاية الفرح فهي تشعر أن كل شيء أصبح أفضل مما كان عليه وأخيرًا أصبح كل شيء كاملًا وكما تمنت دائمًا أن يكون.

بدا على إلينا أنها تذكرت شيئًا فقالت:

- أنا ماشوفتش نور صحيح إمبارح

- نور مين؟

نظرت لها بتعجب وقالت:

- نور صاحبتنا

- ممكن صحبتك إنتي بقى.. أنا ماعرفش حد اسمه نور

ودعت إلينا سارة ثم أغلقت الباب وفي الوقت الذي أدارت ظهرها له سمعت صوتَ جرس الباب، فالتفتت ناحيته مرة أخرى وظنت أن سارة نسيت شيئًا لكن عندما فتحت لم تجد أحدًا!، دارت بعينها في الحديقة ولكن لا يوجد أحدًا بالفعل وحين كانت ستغلق الباب مرة أخرى رأته مُلقًى على الأرض أمام الباب كان لونه أبيض، مدت إلينا يدها؛ لترفعه فوجدت إنه ظرف عادي لا يحمل اسمًا، فدخلت البيت وجلست وأخرجت جوابًا كان بداخله، يقول:

من بين كل الطرق المجهولة المبهمة لي، اخترت هذا الطريق رغم عدم تميزه عن غيره من الطرق فليس لدي سبب منطقي؛ لاختياره؛ فهو ليس أقصرهم أو حتى أسهلهم، ولكني انجرفت إليه ولم أدرك إلا عند منتصفه بالأحرى لم أجد طريقاً متاحًا غيره

مظلم لا يتبين لي ما على بُعد خطوتين مني.

طويل وكأنه ليس له نهاية

خاوي وكأن لم يمر منه أحد

إذا توقفت لن يتغير من الأمر شيء، وإذا مشيت ظننت أنني أتحرك مكاني

متشابه فلا يتضح أوله من آخره

لا أستمع إلا لصوت الرياح التي تهب من حين لآخر

التي أتمنى أن تحملني عاليًا؛ لأتمكن من رؤية نهاية هذا الطريق، أو تنقلني لطريق آخر تدبّ فيه الحياة

و لكنّ شيئًا ما داخلي يخبرني دائمًا أن هذا الطريق كُتبَ على من قبل أن أوجد لا يحق لي أن أغيره أو أعرف متى آخره

فقط كل ما علي فعله هو أن أعبره مهما طال أو ضاق أو أظلم فقط كل منا عليه أن يعبرطريقه

أعادتها مرة أخرى في الظرف، ووضعتها على منضدة بجوار الباب ولم تكترث كثيرًا.

الفصل الثالث

لم يكن على إلينا أن تستهين بكلمات هذه الرسالة، فكان يجب أن تدور الكثير من التساؤلات في بالِها؛ فهي رسالة مكتوبة بخط اليد لا تحمل اسمًا وكذلك كلماتها لم تكن خاوية لتُقرأ سريعًا ثم تُنسى، فلن تكون آخر رسالة ستبعث، فهي مجرد بداية لكل ما هو قادم.

بعد مرور ساعة على مغادرة سارة، أحسّت إلينا بأن هناك شيئًا ناقصًا وهو أين تضع المال أو كيف تحصل عليه بينما والداها ليسا موجودين، فقد أدركت أن هذا المكان يسري كما أرادته أن يكون وإن كان هذا صحيحًا فهذا يعني أن والديها ليس لهما وجود هنا، وهكذا أفضل برأيها ولكن ينقص فقط المال، فهو كان أفضل شيء تحصل عليه منهما.

فقررت أن تبحث عنه، فبدأت بحقيبتها ولكن بلا جدوى؛ فأخذت تفتش في البيت وتعبث بأدراجه فلم تترك أي مكان في البيت من المحتمل

أو ليس من المحتمل أن تجد به مالًا إلا وبعثرته، شعرت بقليل من التوتر حينها ووجدت أن الحل الأمثل أن تسأل يوسف ولكن دون أن تثير شكوكه ثانيةً؛ فلقد أثارت شكوكه بما فيه الكفاية البارحة، فحملت نفسها وذهبت عنده، جلست في البداية تتكلم عن الحفلة وتستخدم حس الدعابة لديها؛ لتتأكد أن الساحة ستكون مهيئة لسؤالها، ثم أثناء حديثهم ألقت إلينا جملة أنزلت الصمت على ندى ويوسف اللذين كانت ضحكتهما تتعالى في المكان:

- بأقول لك إيه أنا شكلي ضيعت فلوسي وهتلبس أنت فلوس الشوبنج بتاعي.
- فلوس إيه؟!
- خلاص خلاص أنا هاخد من ندى.

نظرا يوسف وندى لبعضهم البعض بوجوه متعجبة ثم قال يوسف:

- إلينا إنتي مش محتاجة حاجة مننا عشان تعملي شوبنج أصلاً

شعرت بالإحراج المصاحب بقلق ثم قالت:

- إنتو يا جماعة بقيتوا بُخلاء كده ليه؟.. أنا بهزر عادي يعني

لم يقتنع يوسف كثيرًا فردّ قائلاً:

- طيب بالمناسبة مفيش حاجة اسمها فلوس هنا.. إحنا بنجيب اللي إحنا عايزينو من أي مكان من غير ما ندفع حاجة.

جحظت عينا إلينا وظهرت ابتسامة عريضة على وجهها أظفرت بظهور أسنانها ثم قالت:

- بتهزر؟ يا نهر دي جامدة أوي.

لم ينطقا بكلمة فأردفت:

- يا جماعة بهزر عادي ماتبوصوش كده.. أنا همشي بقى.. يلا باي

مر اليوم في هدوء حتى المساء فقط، فمحمد طلب من إلينا أن تجهز نفسها لسهرة بالخارج تتكرر مع كل بداية أسبوع حسب ما قال لها محمد ولكن بالنسبة لإلينا فهي مرتها الأولى، كان المكان شبه مظلم خاليًا من الإضاءات البيضاء مستعيضين عنها بألوان أخرى كالأحمر والأزرق تأتي وتذهب مع الموسيقى الصاخبة التي تجول في المكان، كان أيضًا ملئ بالناس الذين يرقصون رقصات غريبة، ليس لها حركات محددة وأيضًا مَن يجلسون بيدهم مشروبات ذات ألوان مختلفة كالأحمر والأبيض في النبيذ، ومنها أيضًا الأخضر والأصفر في الكوكتيلات.

جلس محمد بجوار إلينا على البار واضعًا يده على كتفها يتحرك بجسده مع الموسيقى، لم تقم إلينا بأي شيء غير أنها كانت تتأمل الزجاجات المتراصة التي تحمل أسماء وأحجام مختلفة وأيضًا من يجلسون بجوارها وطريقة شربهم، كانت تشعر بالغرابة في بادئ الأمر فهي غير معتادة على هذه الأماكن ولكن سرعان ما أجبرت نفسها على التأقلم، والانخراط في هذه الأجواء؛ حتى تثبت أن هكذا أفضل من قبل كما تظن وشيئًا فشيئًا أصبح المكان وكأنه مألوفًا لها واختفت دهشتها لما تراه.

أضئ الطريق بفعل الأنوار الصادرة من مصابيح السيارة لتنطفأ عند وقوف السيارة أمام بيت إلينا التي كانت تبتسم بطرية مبالغ فيها بفعل الكحول ثم قبلت وجنة محمد وودعته ونزلت من السيارة، فانطلق محمد بسيارته قبل أن تفتح الباب ولكن لم تكترث كثيرًا بما فعله، وأثناء محاولتها

بأن تتزن خرج يوسف من بيته واتجه إليها ثم فتح لها الباب وهو يسندها حتى أدخلها وجعلها تجلس على كرسي وجلس هو على الكرسي المقابل وكان يبدو عليه علامات الاستياء، ثم تنهد في غضب وقال:

- طبعًا مش هاعرف أكلمك كلمتين على بعض عشان إنتي مش هنا أصلاً
- أنا مبسوطة أوي.. بس مش هاكدب فيه شوية تأنيب ضمير أد كده "صوغننين" خالص في المرة الجاية ضميري هيموت خالص بقى هتشوف
- محمد ده بيرجعك واربس إنتي واخدة بالك، ده خسارة فيه الاسم والله
- ده جميل والله
- والله ماعندكيش دم بأقول نفس الكلام كل مرة ولا كأني بأقول حاجة
- ماتكبرش الموضوع وبعدين دي أول مرة
- والله؟ طيب يلا عشان تنامي ونتفاهم بكرة

ثم خرج وأغلق الباب.

كانت الشمس قد أشرقت منذ بضعة ساعات ونثرت آشعتها على الأرض وأصوات الناس في الشارع تتداخل مما يدل على الازدحام، وهي لاتزال مستغرقة في نومها بعد عودتها ليلة البارحة، ثم انتزعها صوت جرس الباب من نومها، فاستيقظت وكانت تشعر بالدوار الشديد ثم توجهت للباب لتفتحه لتجد رجلًا حاملًا ظرفًا فاستلمته وجلست لترى ما فيه، كان جوابًا لمسابقة للرسم ستُعقد بعد شهر مكتوب فيها وصف

للرسمة المطلوبة من المتسابقين والأدوات التي يجب استخدامها فيها، وكُتِب في بداية الجواب اسم المتقدم الموافَق عليه ألا وهي إلينا وأثناء قراءتها لاحظت في نهاية الورقة بأن من قدم اسمها لهذه المسابقة يوسف، لم تسعد كثيرًا وارتسمت علامات الغضب على وجهها وأخذت تعض على أناملها من الغيظ.

كان راكبًا سيارته يعدو بها غير مكترث؛ حتى أوقفها أمام منزلها وكاد أن يقرع الجرس حتى خرج أمامه يوسف وكان يبدو عليه عدم السرور بلقائه، فلما رآه قال:

- إيه الأخبار

مش حلوة.. أنت مش هتبطل تودي إلينا الأماكن دي

- لو هي مش عايزة تقدر تقول لي لأ أنا مش هجبرها على حاجة
- بس أنت بتشجعها على ده.. أنت مش خايف عليها من الأماكن دي وأن هي لسه صغيرة
- يوسف محاضرة الأخلاق دي سمعها لإلينا مش ليا
- متخافش لما تلاقي الحاجة اللي بتحبها هتنشغل بيها ومش هتروح معاك الأماكن الزبالة دي
- ودي حاجة متضايقنيش.. كده كده سواء جت معايا أو لا أنا هنبسط برضو مش خسران حاجة
- ما أنا عارف أنها ولا فارقة معاك أصلا

نظر محمد ليوسف بنظرة باردة ثم قرع الجرس ليُفتح الباب فتوجه هو ويوسف عبر الحديقة ليجدا إلينا عند الباب الداخلي للبيت ولكن لم يبدُ

أنها تنتظر لتبادل السلام، ثم رفعت الجواب الذي أُرسل إليها ونظرت ليوسف بنظرة غاضبة وقالت:

- ممكن تقول لي إيه ده؟
- وريني كده.. دي هدية عيد ميلادك متأخرة شوية بس غصب عني لما...

قاطعته قائلة:

- أنا طلبت منك حاجة زي كده؟
- لا.. بس أنا عارف إنك نفسك فيها

قاطعته للمرة الثانية:

- أنت قررت عني.. ماجاش في بالك أني مثلا مش فاضية أو مليش نفس في حاجة زي دي دلوقتي
- بس أنا عارف إنك فاضية
- أنا مش عايزة ألتزم بحاجة أنا قررت أعيش حياتي زي ما أنا عايزة وماهتمش بأي حاجة

ابتسم محمد حتي يبين ليوسف إنه انتصر عليه، فردّ يوسف قائلاً:

- تعيشي حياتك بأنك تخرجي بليل وتروحي أماكن زبالة زي دي.. أماكن عمرها ما هتكون ليكي وترجعي الفجر وتصحي العصر.. هو ده اللي نفسك فيه؟
- يوسف أنت مش بابايا ولا أخويا عشان تكون مسؤول عني.. أنا حرة تمام؟

أصاب يوسف الصمت بعد ما سمعه منها فأردفت:

- دلوقتي بقى خد الورقة دي وأتصرف الغِ اسمي بقى ولا شوف هاتعمل إيه؟

لم ينطق يوسف بكلمة أخرى وأخذ الورقة وانطلق من الباب بوجهٍ خالٍ من التعبير.

ظلت حياة إلينا على هذا المنوال تستيقظ متأخرًا وتخرج لتقابل أصدقاءها، فقط تستمتع وتضحك غير مبالية بما يحدث غير مكترثة بكيفية مجيئها إلى هنا أو كيف حدث هذا أصلًا لم تفكر حتى أن ما تعيشه هذا حقيقة أم لا فهي تستمتع بوقتها فقط وترى أن حياتها بهذا الشكل أصبحت مثالية لا ينقصها شيء.

ظلت العلاقة بين إلينا ويوسف منقطعة لا يسأل أحدهم على الآخر ولم تأتيهم الفرصة بأن يتقابلوا أمام باب منزل أحد منهم أو في الشارع أو هم مَن يفنون هذه الفرصة فكانا يهربان مِن بعضهما وكل منهم يعمل على أن لا يقابل الآخر بأي شكل من الأشكال، ولكن عندما يريد القدر شيئًا لا أحد يستطيع أن يقف أمامه تذكروا هذا دومًا، ففي يوم ما كانت إلينا عائدة إلى البيت بعد قضائها الوقت مع أصدقائها، وكانت الشمس حينها تضفي لونًا برتقاليًا في السماء؛ مما يدل على قُرب موعد غروبها، وأثناء مرور إلينا من الشارع متجهة إلى بيتها رأت يوسف خارجًا من بيته ماشيًا في عكس اتجاهها، فتقابلت عيناهما سويًّا ووقفا دون حركة ناظرين لبعضهما وكأنّ أعينهم تولت مهمة لسانهم وكأنهما يكلمان بعضهما بدون إصدار أي صوت، فقالت عينا إلينا التي بدا عليها الحزن بأنها لم تقصد شيئًا مما قالته في اليوم السابق، وأنها اجتهدت؛ لتخفي ذلك في الأيام التي

تخاصما فيها؛ لتقنع نفسها أنها على حق وليست نادمة أبدًا ولكنها كانت مخطئة فهي أخطأت مرتين؛ مرة في حق يوسف ومرة عندما ظنت أن الحياة يمكن أن تمر بعذاب الضمير؛ لأنه غير مرئي فلا نراه، فنظن إنه إيحاء ولا يرونه من حولنا فنظن أننا بخير، وكانت عينا يوسف ثابتة ولكنها تنظر بشيء من الغضب مصحوبًا بحزن شديد يخرج من أعماقه فيلهبها وكأن حريقًا ينشب بداخله؛ فيحرقه ولكن لا أحد يشعر به، ظلَّا على هذا الحال لمدة دقيقة تقريبًا حتى همَّ يوسف بالاقتراب ناحية إلينا فحنت عينا إلينا سريعًا وظنت أن كل شيء سيحل الآن فلا داعي لهذا القلق ولكن عينا يوسف كانت على نفس حالها، اقترب يوسف من إلينا حتى أصبح قبالتها فهمت إلينا بالتكلم؛ لأنها وجدت إنه قدم خطوة ولكنه لم يقف حتى لحظة وإنما مر بجانبها وتجاوزها تاركًا خلفه إلينا التي وقفت دون حركة؛ لتستوعب ما حدث ثم دخلت بعدها إلى بيتها دون أن تنظر خلفها حتى.

في ذلك الوقت كان يوسف ذاهبًا لمقابلة صديقه عمرو، بدأت صداقتهم من أول يوم في الجامعة عندما قرر القدر أن يجمعهما ليصبحا صديقين لا يفترقان عن بعضهما أبدًا، فدائمًا ما كانا يقفان بجوار بعضهما ولم يمر يوم عليهم بعد وهما متخاصمان، كان عمرو في نفس عمر يوسف؛ طويل القامة، وسيم ذو بشرة بيضاء، وشعر ناعم قصير، يمتاز وجهه بهذا الخط الذي يقسم حاجبه الأيمن لنصفين منذ أن وقع وهو في عمر العاشرة وفُتح حاجبه فأضفى هذا الجرح جاذبية خاصة على ملامحه، وعلى الرغم من وسامته وقبوله إلا إنه لم ينجح حتى الآن في الارتباط أو إيجاد الفتاة المناسبة له.

تقابلا في مقهى كان يقع على بُعد شارعين من بيت عمرو، الذي جلس ليستمع ليوسف الذي بدا عليه الحزن منذ أن وصلا إلى هناك، وأخذ يشرح كم إلينا فتاة مهملة لا تتحمل المسؤولية، متمردة، لا تستمع إلا لنفسها فقط، لطالما حاول تغييرها، ولكنه فشل وعندما أراد أن يبعدها عن محمد بمسابقة الرسم؛ التي طالما أرادت التقدم إليها باءت محاولته بالفشل؛ وجعلت محمد ينتصر عليه في هذه الجولة، وأخذ يتكلم عن اختياراتها السيئة؛ وعلى رأسهم اختيار محمد بأن يكون حبيبها وهو لا يصلح حتى لأن يكون رجلًا، فهي لا تحبه ولكن تقف خلف اختيارها السيء، مع أنها تعلم بأنه لا يحبها ولا يهتم حتى لأمرها، ولكن لم يكن يوسف الوحيد المستاء على هذه الطاولة بل عمرو كان يبدو عليه الغضب من كلام يوسف؛ فهو يرى إنه المخطئ الأول، فمن المفترض أن يتركها تفعل ما يحلو لها فهي لا تقرب له من أي جهة، فخرج عمرو عن صمته وقال :

- أنا مش فاهم أنت شاغل نفسك بيها أوي كده ليه.. أصلها مش أختك الصغيرة عشان تحس بالمسئولية ناحيتها
- آه ما هي قالت لي كده برضو
- خلاص كبر بقى.. وبعدين هي لو عندها دم هتيجي وتعتذر لك وساعتها اتكلموا بالراحة واتفق معاها
- شوفتها في الشارع وأنا جايلك وعدينا من جمب بعض من غير ما نقول ولا كلمة.. أنت مش متخيل الموضوع أثر فيها إزاي.. حسيت بوجع في قلبي

- أنت مش شايف إنك مديها قيمة زيادة شوية
- من يوم ما عرفتها وأنا شايفها أختي الصغيرة اللي لازم أخلي بالي منها
- وندى متقبلة الوضع ده عادي؟
- ندى بتحب إلينا جداً
- أنا مش عارف ندى صابرة على اللي أنت بتعمله ده ليه.. ده أنا لو كنت مكانك ماكونتش شغلت نفسي بأي حد غير ندى

أحس عمرو بأنه استخدم التعبير الخاطئ فقال:

- قصدي يعني لما أحب وأتجوز وكده مش هأفكر في حد تاني غير فيها، اللي هي البنت اللي هحبها يعني

مرة أخرى أحس يوسف بتغيير في نبرة صوت عمرو؛ عندما يأتي الموضوع إلى ندى، التي طالما تجاهلها ورأى أنها بالتأكيد مبالغة في غيرته عليها، فكلنا عندما نحب أحدًا ما نشعر أن كل الناس تريد أن تأخذه منا وأنه لشيء فريد من الصعب إيجاد مثله، ولكن إنه شعور زائف بالطبع فكثيرًا ما نراه جميلًا عند آخرين أقبح ما يكون.

في هذه الأثناء، في مكانٍ ما، وفي هذا العالم ولكن بعيد عن الجزء المعمور بالمباني والناس، كان عمال البناء يسارعون؛ لبناء مبنى لا يعلم أحد عنه شيئًا، لا يتكلمون، فقط يعملون، ليلحقوا به في أسرع وقت، أُختير ليبني في صمت بعيدًا عن أعين السكان، لن يظهر الآن ولكن سيأتي وقته قريبًا جداً، كما أن هناك الكثيرَ من الأشياء التي تسير دون علم أحد، فلا أحد يعلم من يرأس هذا العالم؟، مَن حاكمه؟، فبعيدًا عمّا يظهر للسكان بأنه عالَم بلا حاكم وبلا قواعد، فأي أحد يستطيع أن يفعل أي شيء يحلو له

في الوقت الذي يريده، لا يوجد معاملات بينه وبين أي عالم آخر وكأنه وجد بمفرده ولكن من قرر إنه يوجد مقابل لأي منتج ومن يمد المحلات التي بلا عاملين بالمنتجات، من في الأساس بنى هذه المنازل وسمى الشوارع، وكيف يعقل أن يمضي مكان كهذا دون أي دخل؛ فحتي أفراده يملكون ما يريدون دون مقابل أو مساومة، عالم بلا اسم بلا علم أو رمز يميزه حتى.

لا أحد يعلم..

لم تفكر إلينا كثيرًا بوضعها مع يوسف؛ فهي غاضبة منه الآن؛ بعدما كانت تظن بأنه سيتقدم بخطوة إليها ويعطيها فرصة للجلوس معه والتكلم فيما حدث لعلها فعلت ذلك لسبب معين أو أن التوقيت كان خاطئًا ولكن لم يفعل. مرّ وكأنه لم يرها حتى، أخذت تقبض على كفي يديها بغضب، ثم أغمضت عينيها وأخذت تتنفس ببطء؛ لعلها تفرغ ما بها من ضيق، قاطعها صوت جرس الباب فقامت على أثره لتفتحه لتجد محمدًا وهو في حالة هذيان فكان يبدو عليه إنه أكثر في الشرب هذه المرة، أغلقت الباب بعد أن أدخلته وقالت:

- محمد أنت شارب؟
- شربت شوية آه
- طب ماروحتش بيتك ليه عشان تستريح... هاتصل بعربية تيجي تاخدك عشان ماينفعش تسوق وأنت كده

وعندما همت بالذهاب؛ لإحضار هاتفها قام محمد بإمساك ذراعها الأيمن بكف يده الأيسر ولف ذراعه الأيمن حول خصرها، ولكنها

سرعان ما أبعدت يديه عنها وحين همت بالذهاب اعترض طريقها، وقرب وجهه من وجهها حتى أصبحت المسافة بينهما صغيرة جدًا لدرجة أنها كانت تشعر بأنفاسه الدافئة مسلطة على وجهها الذي ازداد حرارة مع تسارع ضربات قلبها الذي كاد أن يكسر ضلوعها؛ ليفلت من بينها وجسدها الذي أصيب بالقشعريرة، التي زادت من جموده، أخذ محمد يقرب جسده منها وهي تحاول الابتعاد بدورها، لم تشعر إلينا بتوتر؛ لقربه منها ولكنها شعرت بالخوف الشديد؛ فهي فرضت محمد على نفسها، ولو تركت لنفسها الاختيار لما كانت أدخلته حياتها وحتى لو كان كصديق، فكان اقتراب شخص غير مرغوب فيه، فتمالكت قوتها ودفعته بكل ما أوتيت من قوة بكلتا ذراعيها؛ لتبعده عنها وبالفعل نجحت في ذلك، فنظرت له وقالت:

- أنت اتجننت
- إلينا مالك.. إحنا بنحب بعض إيه المشكلة
- محمد اطلع بره
- خلاص ماحصلش حاجة
- ماتقربش مني واطلع بره حالاً

فتح الباب وخرج تاركًا وراءه إلينا التي جلست على الأرض تأخذ أنفاسها بصعوبة من خوفها ولم تمر ثوانٍ؛ حتى انفجرت في البكاء، لا تعرف ما سبب بكائها تحديدًا، هل ما حدث قبل قليل، أم أشياء أخرى تراكمت بداخلها، وأصبح ما فعله محمد؛ القشة التي قصمت ظهر البعير؟

جلست بعد أن هدأت؛ تفكر فماذا لو كان والداها موجودين الآن؟ فبالتأكيد لم يكن محمد ليتجرأ ويفعل ذلك؛ حتى أنها لما كانت تعرفت عليه من الأساس، فرياح من الندم اجتاحتها في داخلها ولكنها فضّلت أن تتجاهلها وأخذت تكرر لنفسها بصوت منخفض مسموع بأن ما هي فيه بالتأكيد أفضل مما كانت عليه حياتها.

في صباح اليوم التالي كان واقفًا وبيده باقة من أزهار التوليب البيضاء منتظرًا إلينا؛ لتفتح له الباب ويقول لها ما رتبه من كلام.

فتحت إلينا الباب ناظرة له بنظرة خاوية لا تُظهر حالتها

- أنا آسف بس والله ماكونتش عارف أنا بأعمل إيه إمبارح فمتزعليش
- ادخل يا محمد،
- شكلِك لسه متضايقة مني
- لا أنا نسيت اللي حصل أصلاً "فوكك"
- بجد والله؟ طمنتيني... وجبتلك ورد أهو

مد يده ليعطيه لإلينا فمدت يدها لتأخذه فسحب يده قائلاً:

- ولا مالوش لازمة أرجعه بقى وخلاص

ضغضت إلينا على فكيها لتكتم غضبها فأردف:

- خلاص بهزر

تحدثت إلينا في داخلها " أنا إزاي لما كنت بتسأل عن صفات فتي أحلامي ماأكدتش إنه يكون دمه خفيف.. لا وبيقولي ورد كمان"

ثم همهمت قائلة :

- ده أنت دمك يولطوش فعلًا

- إيه.. بتقولي حاجة
- لا بقولك ميرسي يعني على الفلويرز دي!
- صحيح... كلمتي يوسف تاني بعد الهبل اللي عمله ده؟
- لا

قال وهو يضحك ساخراً:

- غبي أوي.. حد يشترك لحد مش بيعرف يرسم في مسابقة رسم.. أنا مش فاهم ده لو قاصد يلبسك مش هيعمل كده
- ... أولا يوسف مش غبي على الأقل مش أكتر منك
- مش كنا اتصالحنا
- أنت بجد ماتعرفش أني بعرف أرسم؟
- قولي والله؟.. أومال عاملة حوار ليه وبهدلتيه كده
- عشان حاجة زي دي كان المفروض ياخد رأيي فيها حتى لو كانت نيته كويسة.. بس محمد هو أنت تعرف عني إيه؟ يعني تعرف مثلا أنا بحب إيه ومش بحب إيه؟
- بتحبي الورد
- هو للأسف أنا بحب الفلورز أكتر
- واحد يعني مش فارقة كتير، أصل مش مهم يعني أكون عارف بصراحة
- أومال إيه المهم
- نخرج وننبسط
- طب ما أنت ممكن تعمل ده مع أي حد
- لا معاكي أكيد حاجة تانية

رأت إنه يجب عليها إنهاء هذه المحادثة وإلا ستنتهي بقتلها له فادّعت بأنها مشغولة اليوم وودعته.

أحسّت إلينا بالاشمئزاز ناحية محمد؛ وكأن حشرة كبيرة تمشي على جسدها، لا تعرف هل ما حدث البارحة هو ما فعل ذلك، أم أنها أدركت إنه شخص مقزز بالفعل، أم كلامه بطريقة سيئة على يوسف أمامها دون مراعاة أن ذلك قد يغضبها، أم سخافته ويمكن أن تكون كل هذه الأسباب اجتمعت معًا، فهي كانت تتعامل معه بصورة طبيعية من قبل، ولكن في تلك اللحظة كانت تود أن تصفعه على وجهه؛ وتذهب لتغسل يدها بعدها.

في المساء كان هناك واقفًا على سطح قصره العالي، يرتدي ملابس سوداء بالكامل، وشعره الناعم يتحرك من أثر الرياح الباردة ليلًا، التي تحوم في الأرجاء وكان ينظر بنظرة شامخة لهذا العالم، على وجهه ابتسامة خبيثة حاملًا قلمًا أسود في يده، بعد أن انتهى من كتابة بعض الكلمات

لم أجد ما يحدث لائقًا بكم فوجب على تعديله أو إرجاعه لحالته الأولى فكما تعلمون أن الإنسان خُلِقَ في كَبَد فهي حقيقة ولا أدّعيها

أنا لست بعاصي يرفض الطاعة فأنا لست أدين لأحد بطاعتي ولست بطائع يفعل ما فُرض عليه، أنا فقط أتحمل نتائج ما أفعله

سأنظر من مكاني هذا مرة أخرى لكم بينما أنتم ستفعلون ما ادعيتم أنكم لن تفعلوه لأن بداخلكم خيراً، ولكن الإنسان حين يريد النجاة لا يفكر إلا بنفسه ويرى كل مكروه حلالًا في سبيل نجاته..

و حينها سألقاكم

الفصل الرابع

كانت الحياة تمضي في هذا العالم كما كانت من قبل، بلا قواعد أو حاكم، يفعل أي واحد من ساكنيه ما يحلو له، لا يوجد عمل ولا مقابل لمجهود، من يفعل خطأ ينجو به فلا عقاب على سوء ولا جزاء لخير.

في صباح هذا اليوم أتى محمد لمنزل إلينا؛ ليتناولا الإفطار سويًّا وكانت قد هيأت نفسها؛ لتعتاد عليه مرة أخرى وقررت أن تنسى ما حدث وكأنه لم يكن.

و أثناء تناولهما الطعام رنّ هاتفه فأسرع بحمله ورفض المكالمة ثم عاود وضعه على أن يكون وجه الهاتف للطاولة ولكن إلينا كانت قد رأت اسم المتصل

فسألته "من هي فرح؟ " فأخذ يراوغ في الكلام ثم انتقل لموضوع آخرو أخذ يحكي عن بطولاته في الجيم ويسرد لها معلومات مملة لا تعني لها شيئًا

وبالرغم أنها أظهرت كم هي سائمة على ملامح وجهها إلا إنه لم يكترث، وأكمل قول ما عنده من معلومات حفظها مؤخرًا وإلينا تستمر في تناول الفطور؛ لتشغل وقتها حتى ينفذ خزانه من المعلومات وحين انتهى من كلامه الممل هذا ودّعها وغادر، ثم أخذت إلينا تفكر وتسأل نفسها لِمّ لم تسأل حتى تعرف من فرح هذه؟ أو لِمَ لم تتوتر أو تشعر بالغيرة؟؛ فردة فعلها ليست طبيعية تمامًا ولكنها عادت تقول لنفسها لأنها بالطبع تثق بنفسها وتثق في محمد وعلى الرغم بعدم اقتناعها لهذا الرأي ولكنها رجحته في النهاية.

و أثناء جلوسها على سريرها في محاولة للملمة ما يطوف في عقلها والخروج بقرار تنفذه بخصوص محمد وما رأته على هاتفه اليوم، ثم أخذت تحاول أن تعود بالأحداث للوراء وتتذكر مواقفها معه في محاولة لترى الجانب الذي تجاهلته دائمًا، فأول ما أتى إلى عقلها واستوقفها موقف قد حدث منذ أسبوع تقريبًا حين أُقيمت حفلة في بيت أحد أصدقائه وقد تم دعوتها ولم تتمكن من الذهاب معه في ذلك اليوم، فسبقها ثم لحقته بعدها بساعة، عندما وصلت لمنزل صاحبه كان باب المنزل مفتوحًا وكانت الأجواء صاخبة، دخلت لتبحث بعينيها عنه ولكن لم تجده ففضّلت الذهاب لمكان بعيدًا عن هذا الزحام فصعدت على السلم الداخلي للمنزل وحين وجدت أن الصوت قد ابتعد وأصبح بإمكانها سماع نفسها، همّت بفتح هاتفها المحمول والاتصال به ولكن قاطعها صوت ضحكات آتية من إحدى الغُرف وأحسّت أن نبرة صوت محمد منهم، فأخذت تمشي وراء الصوت؛ حتى وجدت باب غرفة مفتوحًا

قليلًا، وكان جالسًا مع أصدقائه، كانت ستفتح الباب ولكنها تراجعت حين سمعتهم يتكلمون عن فتاة ما واصفين أجزاء من جسدها بطريقة قبيحة حتى شعرت إلينا بالتقزز، وخجلت من أن تدخل وسط هذا الحديث البذيء وفضّلت النزول مرة أخرى، فالصخب سيكون أفضل لها ولكنها أُصيبت بالجمود حين سمعت اسمها آتيًا من الغرفة لم يكن واضحًا بالقدر الكافي الذي يجعلها على يقين بأنها سمعته؛ فاقتربت أكثر من الغرفة ولكن كانوا قد بدأوا التكلم في موضوع آخر، فأصابها التوتر والقلق فلم تعرف هل ما سمعته صحيحًا أم لا أو هل من الممكن أن يتكلم محمد عنها بهذه الطريقة وسط أصدقائه أم لا وكيف يجب أن تتعامل معهم مرة أخرى، إذا ما سمعته كان صحيحًا، وحين همّت بالتحرك فإذْ به يخرج من الغرفة وينادي عليها، عندما نظرت إليه إلينا أحسّت أنه مرتبك وقال لها:

- إلينا!.. إنتي بتعملي إيه هنا؟

حاولتْ بأن تكون على طبيعتها ولا تبين له شيئًا وقد نجحت في ذلك، فردّت قائلةً:

- مش أنا معزومة
- لا لا قصدي.. طلعتي ليه هنا؟ الحفلة تحت.
- كنت عايزة مكان هادي عشان أتصل بيك
- بس إنتي ما اتصلتيش
- كنت لسه هأتصل.. خلاص يا محمد، يلا ننزل

اصفرّ وجهه وكان واضحًا من ملامحه أن هناك ما يقلقه، فقال:

- إنتي كويسة؟ قصدي فيه حاجة حصلت أو سمعتي حاجة ضايقتك

استمرت في إظهار وجهًا باردًا وقالت:

- ليه هو فيه حاجة كان ممكن أسمعها وتضايقني
- لا مش قصدي.. بس شكلك مش مبسوطة
- لا أنا تمام.. اتوترت شوية عشان مالقتكش لما جيت وأنا معرفش حد هنا
- ماتقلقيش يا حبيبتي، هاتي إيدك

دار هذا المشهد كاملًا ببال إلينا، وأحسّت أنها حمقاء حقًّا؛ فهي بالفعل سمعت اسمها وإن لم يحدث فلماذا كان متوترًا هكذا؟ ولكنها ألغت هذه الفكرة في ذلك الوقت حين ضحك محمد في وجهها وقال لها " حبيبتي "، ثم قالت في نفسها بأنها علمت الآن لماذا من السهل على الرجال الخيانة؟ وعدم إرهاق أنفسهم؛ حتى في أخذ احتياطاتهم؛ لأنهم يعلمون بأن النساء إذا كان كيدهن عظيمًا فهن لايزلْن حمقاوات يصدقوهم مهما تمادوا في كذبهم.

تأكدت إلينا أن محمدًا لا يحبها فلو كان كذلك لكانت أحسّت ولو قليلًا، واستطاعت أن تعطي لنفسها فرصة؛ لتشعر ببعض المشاعر تجاهه، لم تفكر كثيرًا بما تشعر في هذه اللحظة أو هل هي حزينة أم لا تبالي؟ ثم فكرت بأن ترى؛ لتتأكد أكثر حتى لا يعتريها الشك.

في اليوم التالي:

رنّ هاتفها وتجيب عليه فردّ قائلاً:

- مش هتنزلي

- لا فاكس النهاردة.. مش هاتروح صح؟
- آه طبعًا هاروح إزاي وإنتي مش معايا.. هابقى أجيلك بكرة بقى
- تمام يلا باي

لم تقتنع إلينا كثيرًا بكلامه؛ وقررت أن تنفذ ما خططت له وذهبت للمكان الذي اعتادت أن تسهر فيه معه لترى، عندما دخلت جلست في ركن بعيد حتى تتسنى لها المراقبة، وبعد بضعة دقائق رأته يدخل ممسكًا بيد فتاة، ثم جلسا ليشربا شيئًا وكانا قريبين من بعضهما؛ وكان من الطبيعي أن تشعر إلينا بالانزعاج ولكنها شعرت به مصاحبًا للشعور بالفرح؛ لأن تخمينها كان صحيحًا، ثم أخذت تفكر هل تذهب الآن وترفع كوب الماء وتهرقه عليه كما يحدث في الأفلام أم تصفعه على وجهه أم إنه من الأفضل أن لا ترهق نفسها بذلك وتذهب في هدوء، فضّلت الاختيار الأخير؛ لأنها أحسّت أنها لا تعطيه القيمة التي تجعلها تغضب أو تسبب شجارًا.

في الصباح التالي حين أتى إلى بيتها وقابلته مقابلة باردة، جلسا ومرت دقائق في صمت قبل أن تعلن أنها تريد الانفصال عنه في منتهى الهدوء فردّ عليها في دهشة:

- كده فجأة؟
- شوفتك إمبارح مع واحدة في المكان اللي بنسهر فيه.. فبلاش نتناقش ونتكلم كتير
- طيب تحبي ناخد ريست

فضحكت ضحكة ساخرة ثم قالت له :

- ردّ غريب فاجأتني بصراحة، بس كده أحسن من إنك تقول ماحصلش

- للدرجة دي مضايقة مني

لا بالعكس أنت مش فارق معايا أصلا.. وأنا مش زعلانة حتى

- إنتي عمرك ماحبتيني

- ولا أنت

- تمام

فتح الباب وخرج دون أن ينطق بكلمة أخرى، وركب سيارته مسرعًا كعادته، أغلقت. الباب وأحسّت بالراحة بعد ما حدث، راحة لم تكن تتوقعها وكأن شربة ماء باردة أخذت تسري في جسدها ببطء؛ لتبرد داخلها، ثم آتاها شعور بالندم؛ لأنها أخطأت من البداية عندما فرضت على نفسها وضع غير مناسب لها مليء بالتنازلات ووضعت غشاوة بيضاء غطت على عينيها وعقلها، عندما حاول أن يخبرها بأنها لا تحبه لم تكن ولن تكون، فهو ليس الشخص الذي كُتب في قدرها فكانت يجب أن تقف أمامه؛ لتوضح له أنها لا تعرفه ولا تعرف كيف تعرفت عليه حتى، ولكنها اختارت عدم البوح باختلافها والسير مع البقية واصطناع أنها تعرف هذا العالم معرفة جيدة، وأنها لم تعش في مكان آخر سواه، وأثناء إبحارها في هذه الأفكار تذكرت أنها سعت في هذا الموضوع ليس لخوفها على خسارة محمد أو لحبها له، ولكن لتذهب ليوسف؛ وتفضُّ هذا الخصام الذي طال، فسرعان ما حملت حقيبتها وخرجت متجهة لبيت يوسف بعد أن جمعت قوتها.

طرقت باب منزله لتفتح لها ندى وتخبرها بأن يوسف في الداخل يقرأ كتابًا ثم تدعوها لتجلس وتتركهما، جلست إلينا على الكرسي المجاور للكرسي

الذي يجلس عليه، وكان مدققًا في كتاب تشعر عندما تراه بأنه مهما قرأت فيه لن تصل لنهايته، مر بعض الوقت ليخرج يوسف من دائرة تركيزه ويدرك أن إلينا معه في المكان، فأغلق الكتاب ووضعه على المنضدة ونظر إليها منتظرًا تبريرها؛ لسبب مجيئها إليه الآن، شعرت بأنها إذْ لم تأخذ الخطوة الأولى وتنطق سيظلان هكذا في سكون للأبد، فقالت إلينا لتكسر حاجز الهدوء؛ لأن كان من الواضح أن يوسف لن يبادر بذلك:

- أنا بأقول ما ينفعش نتخاصم كل ده.. ولا أنت شايف إيه
- طول ما إنتي مش معترفة بغلطك مش هنتكلم
- معترفة والله.. أنا بس ماكونتش في المود وبصراحة أنا قررت أن أنا مش عايزة أتعب نفسي وأدخل مسابقة عندي حاجات تانية أهم أعملها دلوقتي

لم يكن من يوسف إلا أن ينظر لها في صمت فأردفت:

- أنا آسفة
- وإيه كمان
- أنا سبت محمد

جحظَتْ عيناه وقال لها بابتسامة عريضة ارتسمت على وجهه:

- إيه!!.. قولي والله؟ يعني خلاص محمد كده طار
- إيه كمية السعادة دي مش فاهمة.. طلع بيكلم بنات تانية واطي يعني
- بس؟
- إمم.. وحاول يقرب مني مرة وهو شارب وعديتها ساعتها؛ عشان قولت إنه مش في وعيه يعني..

- بس؟
- سمعته وهو بيتكلم عليا مش حلو مع أصحابه بس قلت سمعت بالغلط أكيد أو زي ما تقول عملت نفسي ماسمعتش حاجة
- بس؟
- ما خلاص يا يوسف، مش للدرجة دي هو دمه تقيل آه بس مش شيطان
- يعني
- واخد بالي... أحمدك يا رب .

رفعت حاجبيها وأومأت برأسه للأسفل قليلًا ناظرةً له، فقال لها :

- ماتبصليش كده والله دي أحسن حاجة عملها
- إنه خاني؟
- أيوة.. أصل كان يعمل إيه أكتر من كده عشان يعرفك إنه زبالة، فهو بصراحة جاب من الآخر، الله يكرمه.
- عارف أنا مش زعلانة عشان طلع زبالة أنا أصلًا عمري ما حسيت إني بحبه فهيفرق معايا.. أنا زعلانة عشان كان زي القمر وو راح بصراحة.
- على قد ما بحبك يا إلينا، على أد ما بكره سطحيتك.. بأقولك إيه المرة الجاية أنا اللي هاختارلك عشان اختياراتك فاشلة زي ما إنتي شايفة
- إيه ده يعني اتصالحنا خلاص؟
- اتصالحنا
- بس يبقى حلو

عادت إلينا في نهاية اليوم لبيتها وجلست على سريرها تفكر بما حدث اليوم، وهل هي لم تتأثر بما فعله محمد؟ أم أنها تحاول إقناع نفسها بذلك فقط، حملت هاتفها وفتحته وأخذت تنظر لشاشته مطولًا؛ لتدرك أنها مازالت لا تملك الشخص الذي حين تأتيها الرغبة في التكلم مع أحد تتصل به في أي وقت بلا تردد واثقة أنها ستجد عنده الراحة حتمًا، ولكن لماذا تذكرت هذا الشعور الآن بعدما تركت محمدًا؟، فهو لم يكن ذلك الشخص قط.

اجتاحتها نوبة اكتئاب؛ بعدما وجدت أنها عادت لنقطة البداية مجددًا، فبعد أن أصبحت تملك كل ما تتمناه لم تصبح سعيدة ولاتزال وحيدة تشعر بأنها غير مرغوب في مجالستها، بل خسرت وجود والديها أيضًا حتى صديقتها نور لم تعد موجودة فلطالما كانت مستمعة جيدة لأحاديثها مهما كانت تافهة على عكس سارة التي كانت لا تبدي اهتمامًا لها، وفي ذلك الأثناء رنّ جرس الباب وعندما فتحت الباب وجدت ظرف أبيض ولكن لا يوجد أحد أمام الباب أو في الحديقة كما أن الباب الخارجي كان مغلقًا، حملت إلينا الظرف ودخلت البيت وجلست لترى ما بداخله، فخرجت ورقة بيضاء عندما فردتها عرفت أن هذه الورقة من نفس مصدر الورقة التي تلقتها في ظرف أيضًا من قبل فكان صاحب الخط في الرسالتين واحد، كتب فيها:

إنه لمن الرائع أن يكون لديك لوحة وقلم ترسم ما تتمناه
أي شيء يجول ببالك وكأنك دخلت الجنة وكل ما عليك أن تفعله هو
أن تتمني فقط فإذ بهذا الشيء يتحقق

و لكن أليس برأيك هذا الأمر مملاً..

خُلقنا كي نكون في الدنيا وليس الجنة، فليس من الصحيح أن نرى كل شيء كاملًا مهيئًا لنا؛ لأن في ذلك الوقت سنفقد متعة المغامرة، واحتمال حدوث شيء غير متوقع..

فالدنيا وُجدت بأن لا تكون على استقامة؛ وإنما هي مجموعة من الأحداث المختلطة بعضها جيد من وجهة نظر أحدهم، وسيئ بالنسبة للآخر فهي متزنة دومًا؛ لذلك ما كان على أحد تغيير ذلك؛

لذا هل ترى إنه من الأفضل إعادتها لاتزانها؟

أظن ذلك أيضًا

فليس كل ما نختاره صحيحًا، وليس كل ما نتمناه هو الأفضل لنا، فمهما حدث سنظل بشرًا خطّاء لا نصلح للولاية التي حملناها.

والآن قولي لي

هل أنتِ سعيدة؟!

لم تمر كلمات هذه الورقة بسلام على إلينا كما مرت التي قبلها، فأحست بشعور سيئ ينتابها.

في صباح اليوم التالي كانت إلينا تجلس هي وصديقاتها في أحد المقاهي يتبادلن أطراف الحديث والنميمة، كانت أهم من في هذه الجلسة، فلم يتركوا أحدًا يعرفنه حتى تكلمن عنه وكيف فلان ترك فلانة وكيف ترى فلانة أن ما ترتديه هذا يمكن أن يعجب أحدًا غيرها، وتمر الساعات ولم تصمت واحدة فيهن، فهن لا يكللن ولا يملللن، عندما يكون الموضوع إفشاء أسرار الآخرين والتدخل في أمورهم، ثم انتقلوا للحديث عن

أنفسهن منفذين الآية التي تقول " فأما بنعمة ربك فحدث " حتى أحسّوا باضطراب في المكان فسكتوا حتى يتسنى لهم معرفة ما يحدث، فنادت أحد صديقات إلينا على النادل وسألته ماذا يحدث فقال لها أن هناك شخصًا ما قام بإطلاق النار على أحدهم في الشارع عند مركز التسوق في المنطقة المجاورة فقامت إلينا من مقعدها وصرخت واضعة يدها على فمها، فإذا بصديقاتها تسألنها ماذا حدث؟ وكأن شيئًا ما لم يحدث، فبدأت تسأل أين هذا الرجل؟ وكيف تم القبض عليه؟ ولماذا فعل ذلك؟ فتعجب من كلامهما صديقاتها وقالت إحداهن:

- إلينا.. الراجل ضرب حد بالرصاص وروح بيته هنعمله إيه يعني
- يعني إيه.. مش خايفين يعمل في حد تاني حاجة
- أصل أكيد كان ليه سببه متقلقيش

أصاب إلينا الجمود لا تعرف السبب تحديدًا في ذلك هل لأن كلمة قتل أصبحت كلمة سهلة على اللسان والعقل ولا ترهب الأبدان عندما تدخل المسمع أم هل لأن كيف لمكان أن يكون بغير حاكم أو قانون وأن لا يكون على الناس رقيبًا، لم يحدث أن وجد هذا المكان بعد سواء في الأرض أو السماء، ثم عادت أحاديثهم وضحكاتهم الصاخبة ولكن هذه المرة إلينا لم تكن منضمة لهذه الترهات.

عادت إلينا إلى البيت مبكرًا في ذلك اليوم هائمة؛ تفكر بما سمعته، لم تفق إلا حين رأت حديقتها سوداء، وكأن الغمام حلّ عليها فجميع الأزهار قد ذبلت مرة واحدة لم ينجُ منها شيئًا، لم يكن هناك أثر لتقطيع أو أن أحدًا قد دعس عليها؛ وإنما كانت ميتة خالية من الروح وكأنها قررت أن تقوم

بانتحار جماعي، كما تقوم به الحيتان عندما تجنح إلى الشاطئ؛ لأسباب مجهولة، عندما رأت إلينا هذا المنظر أحسّت وكأن الظلام اجتاح المكان وأطفأ بقايا نور كان بداخلها، طاف في المكان وكأنه يعلن إنه لن يكون هناك يوم جيد بعد الآن.

جلست إلينا على ركبتيها في وسط الحديقة حانية رأسها للأرض تبكي فتنهمر دموعها على أزهارها الميتة وكأنها تسقيها في محاولة لإحيائها مرة أخرى ولكن بلا جدوى فقد تركت الروح الأزهار وذهبت بلا عودة.

الفصل الخامس

لم تكن الحياة يومًا متاعًا لنا، فقد خلقنا فيها في كبد، لا نعلم متى سينتهي هذا العناء أو كيف ستكون نهايتنا؟، نتصارع فيها على أشياء فانية لن تفيدنا وعلى الرغم من معرفتنا بهذا الأمر حق المعرفة نواصل في استماتتنا وإن كلفنا هذا حياتنا الباقية.

رفعت يدها؛ لتحتضن وجهها حتى تجبر عينيها على الإغلاق في محاولة لمحوِ ما في رأسها من كلمات تتصارع وتتداخل فيما بينها فتنتج جملًا غير واضحة ناقصة فتزيد قسوة على جبين وعيني إلينا التي تزداد حرارة وألم يتخللها يأتي من الأعماق، من الداخل تمامًا يضغط على عينيها وكأنه يحاول الخروج..

دخل كما دخل من قبله باقي الأظرف ليصل لبابها، فمدت يدها لتأخذه ببرود بعد أن ذهبت لتفتح الباب ولكنه فلت من يدها وسرعان ما

ارتطمت حافته بالأرض فأصدر صوتًا قطع إلينا عن محاولتها في الوصول إلى السكينة، التي سحبت يدها من على وجهها لتنظر ناحيته.. و لم تكترث كالمعتاد، فقط هدوء يعم المكان ونجوم تضيء في سماء قاتمة وزرع ظهر باللون الأسود من شدة الظلام، أغلقت الباب ثم توجهت إليه وحملته من على الأرض ببرود فهي اعتادت على ظهور هذه الكلمات مجهولة الكاتب، ولكن كانت الورقة التي بداخل الظرف مختلفة هذه المرة فهي سوداء والكلمات الكثيرة التي ملأتها باللون الأبيض تظهر وكأنها تنير الورقة المظلمة الواسعة تشبه النجوم التي نثرت في السماء هذه الليلة، كُتِبَ:

هل ترى هذا الضوء الآتي من بعيد؟..

أمعن النظر أكثر، هل تراه بوضوح الآن؟

أظن إنك ستستنتج مصدره بنفسك، إنه ضوء براق مصاحب بأصوات صاخبة مختلطة صادرة من مجموعة من ناس لا تبالي، فقط تُظهر أنها تهتم بواسطة نبراتها المرتفعة ولكنها لن تتحرك الآن أو بعد ذلك فلا تأمل فيهم شيئًا

فالضوء سيغطي البيوت الثلاثة حتى يطمسها تمامًا بالترتيب واحدة تلو الأخرى، لن يأخذ كثيراً ليطمس البيت الأول والثاني حتى يظن الناس أنه لن يمسّ الثالث ولكن سيفاجئكم جميعًا

هل تظن أنها صدفة؟

لا.. لا أظن

إنه يتصاعد ويزداد شيئًا فشيئًا

أظن أنه يجب إطفاء هذا النور سريعًا وإلا ستصل إضاءته إليك..

انقبض قلب إلينا التي أصبحت لا تشعر بجسدها، الذي اقشعر بالكامل وبدأت يداها بالارتعاد، وكأنها مسّتها شحنة كهربية حتى لعقها لريقها استصعبته، عيناها شاهقتان تنظر للحروف البيضاء التي كونت كلمات سوداء المعنى. أحكمت إلينا قبضتيها على الورقة حتى تجبر يديها على التماسك، أغمضت عينيها وأخذ فكاها يرتطمان ببعضهما البعض؛ حتى شعرت أنها ترتدي عباءة من الخوف سيطرت على حاسة الشعور لديها، تملّكتها حتى خنقتها. مدت إلينا يدها لتجلس في مكانها على الأرض وأخذت تصدر أنينًا؛ لأنها شعرت في وقتها أنها ليست بمفردها أو أن هناك من يراقبها وبعدما هدأت قليلًا لتفكر فيما ستفعله قامت مسرعةً ناحية باب بيتها تفتحه؛ لتتفقد الشارع الذي سكنه الهدوء فقط نسمة خفيفة مارة به تحرك أوراق الأشجار التي أخذت تتخبط ببعضها مصدرة صوتًا خفيفاً. عادت إلى البيت وأحكمت إغلاق الباب وأخذت تضيء جميع أنوار البيت وصعدت إلى غرفتها ومدت جسدها على السرير ولاتزال ممسكة بالورقة القاتمة محملقة في سقف غرفتها حتى الصباح.

انتظرت لبعض الوقت من بعد شروق الشمس، وما إن أصبحت غرفتها مضيئة بالكامل قامت مسرعة متوجه لبيت يوسف وطرقت الباب بقوة حتى أيقظت ندى التي قامت بفتح الباب بوجه ناعس جميل وقالت بصوتها الهادئ:

- إلينا!.. فيه حاجة حصلت؟

- sorry بجد يا ندى، بس أنا عايزة أكلم يوسف ضروري

ظهر صوت آتٍ من داخل المنزل:

- ندى، مين على الباب؟

ثم تبين إنه يوسف حين ظهر من وراء ندى فأردف:

- إيه ده إلينا!.. تعالي ادخلي
- يوسف أنا مستحيل آجي في الوقت ده إلا لو كنت عايزاك ضروري بجد أنا أس...

قاطعها يوسف:

- طب خوشي جوه بدل ما إحنا واقفين كده

جلست إلينا على الكرسي وبجوارها يوسف ثم ذهبت ندى لتتركهما يتكلمان، كان يبدو من وجهها بأن الأمور ليست على ما يرام فقال لها:

- إلينا إنتي كويسة؟ شكلك قلقان
- يوسف أنت مبسوط؟ يعني أنت مبسوط في حياتك؟
- يعني إنتي عايزة تقولي لي إنك صاحية في الوقت ده وجاية قلقانة عشان تسأليني السؤال ده
- يوسف ردّ عليا... أنت مبسوط؟
- أيوة عادي الحمد لله
- أومال أنا ليه مش عارفة أكون مبسوطة... مش مرتاحة مش حاسة أني مطمنة
- ده عشان محمد
- لأ محمد إيه بس... أنا بأتكلم عامةً على كل حاجة
- لا ما هو أكيد فيه أسباب.. الواحد مش بيحصله كده فجأة يعني.. ها إيه اللي حصل بقى

- الموضوع بقالو كتير بس أنا ماقولتش حاجة لحد لحد دلوقتي أنت أول واحد هتعرف
- تمام قولي بقى عشان بدأت أقلق
- أنا في حد بيبعتلي رسايل

ضحك يوسف ضحكة مكتومة، فقالت له:

- أنت بتضحك على إيه؟
- new crush يعني.. بس يا رب مايبقاش شكل محمد
- مش كده يا يوسف... الكلام اللي في الرسايل غريب.. عامل زي القصة وزي ما يكون اللي كاتبه عارف عني كل حاجة عارف أنا مخبيه إيه زي ما يكون بيراقبني وطبعًا الرسايل من غير اسم.
- طب ما تورِيني رسالة كده منهم

أخرجت ورقة مطوية من جيبها وأعطتها له قائلةً:

- بص دي آخر واحدة بعتها لي إمبارح

أمسك يوسف بالورقة وأخذ يقرأ هذه الحروف البيضاء المتراصة على تلك الورقة السوداء، وبعد أن انتهى قال:

- دي حكاية أو قصة حد بعتها لك عادي يا إما حد بيهزر معاكي مفيش حاجة تقلق
- يهزر إزاي يا يوسف.. وليه ماتقولش إن البيوت التلاتة اللي بيتكلم عليها دي بيتي وبيتك والبيت اللي جمبك؟
- هي الرسالة دي اتبعتت لك امتى قلتي
- إمبارح بالليل كانت الساعة ١١ ونص تقريبًا

- حلو أوي.. هل فيه حاجة م اللي مكتوبة دي حصلت؟
- لا بس مش يمكن لسه هتحصل
- واضح أوي من الكلام إنه بيتكلم على حاجة بتحصل حالًا وإحنا قاعدين أهو ولا فيه نار ولا دخان ولا حد في الشارع أصلًا فماتقلقيش
- مش مرتاحة يا يوسف

انطلقت صرخة عالية آتية من المطبخ؛ اضطرب على أثرها يوسف وإلينا اللذان نهضا مسرعين على صوت ندى

- الحقني يا يوسف، المطبخ بيولع

أسرعا إلى المطبخ فوجدا منديلًا مشتعلًا على المائدة المتواجدة هناك، فرفع يوسف زجاجة من المياه وصبّها على هذا المنديل المتوهج، ثم اقترب من ندى ممسكًا بيدها في خوف وقال:

- ندى إنتي كويسة يا حبيبتي؟
- أنا كويسة بس خوفت لما شوفت النار
- هو إيه اللي جاب النار دي؟
- كنت ماسكة المنديل في إيدي ومسكت الولاعة وماكونتش واخدة بالي أن طرف المنديل كان فوق فتحة الولاعة

قالت إلينا وهي في حالة من الغضب:

- برافو يا ندى لقيتي الوقت المناسب بصراحة
- إلينا!!

قالها يوسف بصوت عالي، فردّت عليه بعد أن تراجعت عن نبرة الغضب التي كانت بصوتها وقالت:

- sorry يا ندى، أنا بس خوفت
- نكمل كلامنا بعدين و..

غادرت إلينا منزلها تاركة يوسف الذي اعتراه الشك وازداد قلقه وأخذ يفكر فيما قالته له وفيما قرأه وأصبح يؤمن بأن هذه الرسالة ليست صدفة أو خدعة من أحدهم ولكن ستظهر نتائجها قريباً.

اتجهت إلينا لبيت سارة فلقد مرت مدة على رؤيتها لها بعد أن فشلت محاولاتها في الحصول على نوم هادئ بعيدًا عن زحام أفكارها، فطرقت الباب لتفتح لها سارة التي دهشت لها إلينا حين رأتها، فلقد كانت كما هي ولكن كما كانت في السابق بشعرها الأسود القصير في حالته المزرية بعد أن قصته سارة بنفسها وملابسها السوداء التي توحي بالاكتئاب ووجهها البارد الخالي من التعابير، أحسّت إلينا فجأة بأنها عادت لعالمها الحقيقي بعد ما رأتها، دخلت إلينا البيت، كان مظلمًا على الرغم من أن الشمس كانت لاتزال ساطعة في السماء ولكن ضوءها لم يعبر لداخل البيت بفعل الستائر على الشبابيك التي كانت مغلقة فحجبته.

جلست إلينا تنظر لسارة التي كانت تبدو وكأن أحدهم قد نوّمها مغناطيسيًّا، فكانت شاحبة لدرجة أن ذلك كان واضحًا حتى في هذا الظلام، فخرجت عن صمتها وقالت:

- سارة إنتي كويسة؟

جاوبتها بصوت يعبر عن حزن يفيض منها وقالت:

- إنتي شايفة إيه؟
- طب إيه اللي حصل أحكيلي

- أنا مش عارفة فيه حاجة أوحش من كده كانت ممكن تحصلي
- لا أنا حاسة أن اللي هتقوليهو لي أخف من حاجات كتير أكيد
- بس إنتي لسه ماسمعتنيش

نظرت لها إلينا في سكوت بوجه عابس فأردفت:

- أنا بابا طلع بيخون ماما
- إيه؟!! مستحيل

قالتها إلينا في دهشة كادت تُخْرج عينيها من مكانهما

- طلع الاهتمام الزيادة والهدايا دي لماما حاجة بيريح بيها ضميره أو عشان مايتشكش فيه إنه بيخونها
- أتجوز؟
- يا ريت.. كانت هتبقي أهون شوية

ثم سكتت قليلًا حتى لا تترك نفسها للبكاء ثم أردفت:

- من أسبوع كنت جاية من برة بالليل وبعدين شوفت عربية بابا قصاد باب البيت.. حسيت أن فيه حد جواها ماكنتش شايفة كويس من الضلمة ولما قربت لقيت بابا.. بابا يا إلينا مع بنت قدنا كانوا قريبين من بعض.. افتكرت ساعتها أني بحلم أكيد أنا مش وحشة لدرجة أن يحصل فيا كده.. مقدرتش أمسك نفسي وروحت للعربية وفتحت الباب بتاع الكرسي بتاعها وماحستش بنفسي غير وبابا ماسك إيدي وبيبعدني عنها بعد ما ضربتها..... البنت دي خدت شنطتها ومشيت وفضّلت أنا وبابا واقفين وأنا ببصله ومش قادرة أنطق.. حاجة جواية بتقولي إنتي موهومة وأن مش صح اللي أنا شفته.. هو ده اللي كان

نفسي فيه بس للأسف ماطلعش حلم.. فضلت ساكتة راح هو اللي تكلم.. عارفة قالي إيه؟.. بدل ما يحاول يعتذر لي أو يقول لي اللي إنتي شوفتيه ده ماحصلش، وأنا كنت مستعدة والله أصدقه.. قال لي إن ماما هي اللي غلطانة؛ عشان مش مهتمة بنفسها ومابقتش بتسمعه وهي أصلًا مابقتش تحبه؛ عشان كده دوّر برّه على واحدة تحبه وتديله اللي مش لاقيه في ماما وبدأ يقول لي كلام في ماما مالوش أساس.. الحجج التقليدية للراجل الخاين... بس لما هددته أني هأقول لماما عشان يرجع في اللي هو بيعمله أو حتى يقول لي كده وخلاص ويكدب عليا، لقيتو بيقول لي " أنا ممكن أقولها بنفسي وأشيل عنك الحمل ده وأروح أتجوز أنا ساكت كل ده؛ عشان بس خايف مامتكو تموت لو عرفت عشان هي مريضة قلب بس لو عايزة تقولي لها قولي لها أنا مش عليا ذنب ومفيش حاجة أخاف منها "... بابايا هددني بمامتي يا إلينا... أنا حاسة إن جواياه حاجة تقيلة مش مخلياني عارفة أتنفس، عارفة أد إيه صعب أني أشوفه بيأكل ماما بإيده ويضحك في وشها وأنا مش قادرة أتكلم... أنا مش فاهمة أنا بتعاقب ليه دلوقتي وأنا مليش ذنب.. أنا مش عارفة أنا كده بعمل حاجة صح بأني ماقولش لماما ولا لأ.. أنا مش هأقدر أعيش كده.. عارفة لو كان مابينه ومابين ماما خلاف واطلقوا وراح إتجوز حتى لو سن البنت اللي كانت معاه هيبقى وضع أحسن بكتير من ده.. مفيش أوحش من اللي أنا فيه ده يا إلينا أنا مش قادرة أعيش..

كانت إلينا تستمع إلى سارة وعلى وجهها علامات الدهشة، فهي لم تتوقع هذا أبدًا، فلم يكن من المرجح أن يحدث هذا، كان لا بد أن يصبح الوضع أفضل، وليس أسوأ كيف يحدث ذلك، لم تجد إلينا كلمات حتى تواسي سارة فهي لازالت تشعر بأن هناك خطأ ما فهي كانت تريد أن يتغير القدر؛ لتصبح حياة سارة أفضل ليس أن يثبت القدر إنه الأفضل حتماً.

ما حدث اليوم والبارحة كان مجرد بداية لأحداث قاتمة ستجتاح هذا العالم الواهن وتتغلغل بداخله، لن يبطلها نور الشمس في الصباح أو دعوة مؤمن ترد القدر المحتم.

كان البيت في حالة هدوء حتى بدأ "ليو" في النباح وأخذ يركض في الحديقة ويتحرك هنا وهناك مضطربًا وكأنه رأي شيئًا ما، أسرعت إلينا إليه؛ لترى ما سبب هذا النباح المستمر ولكنها لم ترى شيئًا غريبًا على الرغم من أن ليو كان يصعد على قدميها ويحوم حولها وكأنه ينبهها من شيء ما، أحسّت إلينا بالخوف قليلًا وحتى تتخلص منه أخذت تهدئه حتى خفّ نباحه ثم أدخلته المنزل وصعدت به لغرفتها وراحت تمرر يدها على شعره في حنان لتشعره بالأمان حتى انتابه النعاس ونام على سريرها، تحركت بعدها ببطء حتى لا يستيقظ وأغلقت الباب عليه، ثم أخذت السلالم وجلست على الكرسي وصورة ليو وهو مضطرب أمام عينيها، تفكر لماذا كان يفعل ذلك ولا تعرف لماذا تشغل نفسها كثيرًا بذلك الأمر فمن الطبيعي أن يحصل ردود أفعال غير مبررة من الحيوانات، ولكن كان هناك شعور سيء بداخلها جعل الخوف يسري في جسدها فتذكرت الرسالة التي تلقتها البارحة فقامت وأخرجتها من الدرج التي وضعت

فيه هذه الرسائل مجهولة المرسل وجلست ممسكة بتلك الورقة السوداء وأعادت قراءتها وكلما قرأت شعرت بقشعريرة تسري في جسدها بأكمله وأحسّت بحرارة تخرج منها وكأن الحريق المذكور في الرسالة ناشب بداخلها، وما إن انتهت من القراءة فرفعت رأسها وأخذت عيناها تتحرك؛ لتمسح ما حولها ولكن لم تكن ترى ما أمامها فقط تفكر بما قرأته..

لم تلبث في تفكيرها حتى سمعت أصواتًا تأتي من الخارج ليس واضح ما يُقال ولكن من الواضح أنها صادرة من بشر، ألقت إلينا ما بيدها وأسرعت لتفتح الباب ووقفت وعيناها متسعتان لا تكاد تصدق ما تراه..

كان الدخان الأسود يرتفع في المكان ويغطي السماء ووقف مجموعة كبيرة من الناس في الشارع تصرخ من هول النار التي اجتاحت البيت الأول وتخللته، تغزوه من الداخل والخارج.

و لازالت أصوات الناس مختلطة بالدخان في الهواء ولكن لم يبادر أحد بشيء فهم يشاهدون ما يحدث ويتفاعلون معه بأصواتهم كأنهم يشاهدون فيلمًا محزنًا يُعرض على شاشة أو خبر عن شن حرب في دولة من قبل دولة أخرى يُعرض على شاشة في بيت في دولة ثالثة بعيدة عن هذه الأحداث؛ فيشاهدوه من في هذا البيت جالسين على أريكة مريحة أمام التلفاز، تتعالى كلمات الشفقة من أفواههم.

وقفت إلينا شاخصة بصرها، وهي ترى النار التي تستعد لتمد ذراعها للبيت الثاني (بيت يوسف)، أسرعت إلينا بالركض ناحية الناس، وأخذت تقول بصوت مرتفع محشرج من الخوف:

- حد يتصل بالمطافي بسرعة حد يقول رقم المطافي هنا كاام

ولكن لم يكن هناك ردّ فأردفت:

- إنتو سامعيني!! إنتو واقفين بتعملوا إيه أنا بيتي هيتحرق.

ووقفت لتنظر للناس الذين كان فيهم من يشاهدها في صمت ومنهم من تتصاعد كلمات الحزن والشفقة على حالتها وحال البيوت وبعضهم من أخذ يسعل بفعل الدخان المتصاعد ولكن ذلك لم يؤثر على اهتمامهم بمشاهدة مصير البيوت الثلاثة وإلى متى ستتوقف النار أم ستظل الليلة منيرة بفضلها.

نظرت لبيت يوسف، الذي أصبح أشبه بكرة ملتهبة، تتطاير منها النيران، وسرعان ما انتقلت النيران؛ لتغزو بيت إلينا أمام ناظريها فتصلبت في مكانها؛ مِن هول المنظر وتوقف عقلها عن استيعاب أي شيء وكأنها أصيبت بالجمود ولازال الناس يخترقونها بأعينهم ويتهامسون فيما بينهم مطلقين كلمات الشفقة على حال هذه الفتاة، التي لن تجد مكانًا؛ لتلجأ إليه حتمًا، مرّ بعض الوقت حتى استعادت عقلها، وتذكرت أن ليو بالداخل محبوس في غرفتها فصرخت باسمه، وجرت ناحية باب المنزل، فوجدت أزهار حديقتها الميتة مشتعلة، وكأنها تستعد لمراسم العزاء بعد أن يجمعوا رفاتها ويطلقوها في الهواء، مرّت من خلالها مسرعة حتى وصلت لداخل البيت ولكن لم يكن أمامها مجال لتعبر من خلال السلم

فقد طالته النار بالكامل، فراحت تصرخ باسم ليو، ولكن لم تسمع نباحه هذه المرة، فخرجت للشارع مرة أخرى ونظرت لشباك غرفتها فرأت النيران طالت ما في الغرفة أيضًا، فنزلت بجسدها حتى أسندت على ركبتيها في الأرض صامتة مرة أخرى تحاول أن تستوعب بأنها الآن يجب أن تودع ليو للأبد، كما ودعت أزهارها من قبل وكذلك بيتها الآن، وكل ما تملك فهي الآن أدركت أنها أصبحت وحيدة بالفعل، لم ينقذها أحد وما تمنته في يوم انقلب عليها الآن، خرجت عن شرودها بفعل أصوات الناس الذين لايزالون واقفين يشاهدون بعناية حالتها، التي يرثى لها متمعنين في شاشات هواتفهم المحمولة التي كانوا يرفعونها؛ ليخلدوا هذا المنظر، وتحولوا من التهامس إلى الجهر بما يقولون فقامت إلينا وأخذت تصرخ فيهم وتدفعهم في محاولة لجعلهم يغادرون المكان فهي لا تتحمل رؤية وجوههم المسوخة فهم كما نعتتهم إلينا بأنهم ليسوا بشرًا فلم يتقدم أحد منهم لمساعدتها أو السؤال عن حالها، فأخذوا ينعتونها بالمجنونة غير مكترثين بما حلّ بها ثم توقفت فجأة بعد أن أحسّت بالدوار، حاولت أن تتمالك نفسها وتقاوم حتى تظل واقفة ولكنها في النهاية فقدت سيطرتها ووقعت على الأرض.

بعد انتهاء هذه الحادثة وهذا المشهد الذي يستحق المشاهدة وسقوط إلينا على الأرض لم يجد المشاهدون من الناس متعة أخرى فأخذوا ينصرفون واحدًا تلو الآخر حتى أصبح الشارع خاليًا منهم ومن أحاديثهم.

بدأ الصوت يتخلل إلى أذنيها شيئا فشيئا ولكن الرؤية لازالت محجبة عنها حتى قاومت ثقل جفنيها وحاولت رفعهما، فكانت الرؤية في البداية

مشوشة حتى فتحت عينيها على مصرعيها بعد عناء لتجد نفسها مستلقية على الأرض وصوت الحريق لايزال يطن بأذنيها؛ ليضغط على عقلها ومشهد منزلها وهو يصبح رمادًا ضغط أكثر فتذكرت ما حدث قبل إغمائها من حريق متتابع وقف عند منزلها مجبرًا فليس هناك أي مبنى مجاور له في الجانب الآخر فقط أرض خالية، ولو كان غير ذلك لواصل الحريق مسيرته حتى أنهى كل ما يقع أمامه، فهو أشبه بكائن متعدد الأذرع يريد أن يطول كل شيء يقابله.

أمالت جسدها بعد أن أصابته صلابة الأرض بكدمات متعددة وأخذت تضغط بكفها على الأرض لترفع جسدها المتهالك حتى وقفت ولكنها كانت لاتزال في حالة هزيان وكأنها شربت لتوها كحول ذا تركيز عالي فقدميها تتحرك حركات عشوائية غير مستقرة، بدأت دموعها تنزل على وجهها المتصلب ذا الهيئة الباردة الذي يظهر وكأنه جامد متحمل هذا الضوء الذي يشع كلما هَمّ بالتدمير، أدركت إلينا بأنها أخذت ما يكفيها من صور لبيتها المحترق تكفي لتذكرها بهذا المشهد دومًا وحولت جسدها وبدأت تتحرك عكس اتجاه البيت حتى توقفت فجأة..

على بعد حوالي سبعة أمتار منها كان واقفًا وعيناه ناظرة هناك تحديدًا، فقط ناظرة لداخل عيني إلينا، التي أحسّت بأنها أُصيبت بصدمة وأن قدميها التصقت بالأرض، وعينيها تحتضن عينيه التي تنظر بدورها هناك، كان لا يبدو إنه خسر شيئا في هذا الحريق فشعره الأسود لا يبدو أنه تحرك إثر ركض مِن صاحبه وملابسه لم يطولها دخان الحريق، وقف ناظرًا لإلينا

وكأنه وجد شيئًا تائهًا منه، وقف مستعرضًا ما عنده من عضلات ظهرت بعد جهد لا يتعدى الأسبوعين في الجيم.

كانت إلينا تشعر بأنها تعرفه ولكن عقلها ليس في الوقت الجيد ليتذكر شخصًا ما.

تحركت تفاحة آدم لديه؛ مما يدلّ على إنه لعق ريقه وأخذ يقترب من إلينا بخطوات ثابته وكأنه لا يدرك ما يفعله فقط يهيم إلى هذا الاتجاه وكأن شخصًا آخر يتحكم في جسده، يدفعه حتى أدرك إنه اقترب بالفعل فهناك الآن متر فقط بينه وبينها حينها استعاد وعيه وسرعان ما حول نظره بعيدًا عن أعين إلينا وكانت حرارة جسده تزداد شيئا فشيئا حتى أصبحت في درجة حرارة الحريق الذي لا يتوقف عن أكل ما يقع عليه، فهو أمامها تماماً.

تحركت تفاحة آدم لديه للمرة الثانية ثم قال :

- إنتي كويسة؟

ردّت دون أن تتغير ملامحها الجامدة:

- لا... مش كويسة
- عارف أن كلامي هيبان عبيط بس صدقيني كله هيبقى تمام
- أنا.. أنا بيتي اتحرق وأنا ملحقتوش.. وليو...
- ومفيش حد ساعدنا

نظرت له بنظرة فيها غرابة ثم قالت:

- يساعدنا؟ أنت
- أنا اللي كنت ساكن في أول بيت يعني البيت اللي بدأ من عنده الحريق

- بس شكلك كنت بعيد لما حصل
- آه بس ناس اتصلوا بيا من الشارع وقالوا لي لما بدأ بس أنا كنت عارف أن كده كده ده هيحصل سواء دلوقتي أو بعدين

ردّت عليه بعد أن شعرت بأن جملته استفاقتها من حالة السكون التي تلبستها:

- لا معلش ثواني عارف إزاي
- قصدي يعني أن أكيد كان لازم يحصل مصيبة في مكان زي ده.. ربنا لما خلقنا جعل أي حاجة بنعملها عليها ثواب أو عقاب عشان كده بنفكر قبل ما نعمل أي حاجة.. افرضي بقى كان قال كل واحد يعمل اللي هو عايزه ومفيش جنة ولا نار.. وتفرضي ليه ما إحنا فيها أهو
- أنت بتقول إيه؟!
- مش مهم.. المهم نروح مكان دلوقتي نرتاح فيه ونفكر هنعمل إيه
- هو أنا أعرفك!!

شعر في هذا الوقت بالإحراج الشديد فردّ عليها في خجل:

- أنا بس..

ازدادت الحدة في كلامها فردّت قائلة:

- ممكن تديني موبايلك ثواني وبعد كده روح في المكان اللي أنت عايزه
- آه أكيد

أمسكت بهاتفه في محاولة للاتصال بيوسف ولكن باءت بالفشل فقالت بعد أن أزاحت الهاتف من على أذنها:

- يوسف موبايله مقفول.. هأعمل إيه دلوقتي

ما أن أنهت إلينا جملتها حتى رأتها تطير في السماء وكأنها تحلق؛ لترتطم بالأرض على مسافة قريبة منها محدثة صوتاً عالياً ونارًا ملتهبة، كانت زجاجة بداخلها بنزين وبها قطعة من القماش طرفها مشتعل (قنابل المولوتوف)، كانت الأولى بداية لقنابل متتابعة تتطاير غير معروف مصدرها أو من يوجهها، فزعا كلًا منهما ولم يعرفا ماذا يفعلان في تلك اللحظة وكانت ستصطدم إحدى تلك القنابل بإلينا لولا أن أحمد لاحظها فأمسك بذراعها وأخذها ناحيته محتضنها بذراعه الآخر، فتفاداها ولكن سرعان ما دفعت بجسدها بعيدًا عنه في توتر وصل أيضًا لأحمد الذي نظر لها بخوف ولم يكترث لتوترها ثم أمسك بيدها وأخذا يجريان.

أسرعا لا يدريان إلى أين أو كيف سينجوان؟ فأخذا الشارع كله محاولين النجاة والدخول لشوارع أخرى لعلهم يجدان مأوى في مكان ما حتى وصلا لبيت صغير مُظلم بابه مفتوح ويبدو عليه من الخارج أنه مهجور، اختبآ بداخله وعيناهما لا ترى ما بالداخل لشدة الظلام.

مرت عدة ساعات في صمت حتى خرج أحمد عن صمته وقال:

- إنتي كويسة؟
- مش عارفة
- خليكي واقفة مكانك أنا هأحاول أدور على حاجة نشغل منها نور في البيت ده.. معاكي موبايلك
- لا
- أنا موبايلي هيفصل بس هحاول أتصرف.

بحث كثيرًا حتى وجد لمبة جاز قديمة وبجوارها علبة من أعواد ثقاب، فأخذ أحدهم وحكّها بالسطح القابل للاشتعال الموجود بجانب العلبة؛ فأحدث شعلة أوقد بها فتيلة المصباح فظهرت إضاءته، تعجب حين وجد أنها لاتزال تعمل ثم رفعها ليجول في البيت، كان البيت صغيرًا جدًّا يبدأ من باب خارجي من الخشب منخفض عن مستوى الأرض قليلًا، ثم يوجد مساحة مربعة صغيرة يوجد بها سريران موضوعان، على أن يكونا عموديين لبعضهما مسنود أحد جانبيهما للحائط ثم يوجد طرقة صغيرة قصيرة عند نهاية أحد الأسِرّة، في نهايتها حمام صغير مظلم تفوح منه روائح كريهة، كأنه لم يمر على استخدامه كثيرًا بالإضافة إلى أن الأسِرّة كانت غير مرتبة، ويوجد أيضًا موقد صغير بجوار الباب من الداخل ومنضدة تتوسط المكان بين السريرين وأرضية البيت من الداخل كانت بالية، وكل جزء بالبيت عليه غبار منقوش يدلّ على أنه كان يوجد أحد ما هنا من قبل على الرغم من أن مظهره لا يمت لمعنى البيت بشيء، وعلى الرغم من الهيئة المزرية له كانت إلينا صامتة لم تصدر أي اعتراض على درجة سوء المكان أو كيف ستقضي حتى هنا لبعض الوقت، تحركت من وقفتها الساكنة ومدت يدها لتزيح الغبار من على فراش السرير الذي لم يزُل بالكامل ولكنها جلست رغم ذلك، فقال أحمد بعد أن تفقّد المكان جيداً:

- المكان هنا صعب أوي بس خلينا نبيت فيه النهاردة وبكرة نشوف حلًّا

لم تنطق إلينا بكلمة ومرت هذه الليلة بدون حركة أو صوت.

الفصل السادس

كانت الغيوم تغطي أشعة الشمس في هذا اليوم وكأنها قررت حرمان الناس من ضوئها موحية بيوم كئيب حزين " لا تطلع فيه شمس "، لم تنم إلينا الليلة البارحة وظلت جالسة على أحد السريرين ناظرة للنافذة المكسورة في أعلى الحائط بعيون باكية في نفس الوقت الذي كان فيه أحمد مستلقيًا على السرير الآخر في سبات عميق مصدرًا أصواتًا مزعجة من فمه طوال الليل كانت تحرض إلينا على أن تقوم وتصفعه أو تصرخ في وجهه ولكن همها جعلها لا تكترث له كثيرًا، كان غافيًا تمامًا وكأنه نائمٌ على سريره الدافئ في بيته الهادئ ولم يصبه شيءٌ يقلق نومه، ولكنه في النهاية أفيق على صوت أناس مارين بالشارع وحين نهض ونظر إليها أحس أنه بلا إحساس وأخيرًا، فزعت إلينا حين رأته جالسًا على سريره فهي لم تنتبه له حين استيقظ، فقال لها بعيون ناعسة وابتسامة خفيفة:

- صباح الخير

فنظرت إليه بنظرة حادة في صمت فأردف:

- أنا آسف أني نمت وسبتك، كنت فاكرك إنتي كمان نمتي.. إنتي كويسة؟

تنهدت ثم قالت :

- لو الشمس كانت منورة النهاردة كنت ممكن ابقى أحسن شوية، بس زي ما أنت شايف حتى الجو كئيب
- كله هيبقى تمام صدقيني

تأففت ولكن دون أن يلاحظها فأردف:

- لفيتي في البيت؟
- بيت إيه اللي ألف فيه.. هو أنت مش شايف إنه مترين
- قصدي يعني إنك اتحركتي من هنا ودخلتي جوه، أنا هقوم كده أشوف الحمام ده

قالت بصوت غير مسموع :

- أخيرًا هتقوم من مكانك

كان نور الشمس الخفيف في هذا اليوم قد دخل إلى البيت فأضاءه إضاءة خافتة كافية للرؤية، دخل أحمد الحمام وخرج سريعًا فلم يتحمل رائحته المقززة ولكن على الأقل يوجد ماء بالصنبور، فعاد منه ثم قال لإلينا دون أن يوضح اشمئزازه حتى لا يزعجها:

- بقولك أنا هخرج أجيب أي حاجة عشان أنضف الحمام ده عشان بقاله كتير ماتنضفش فمتدخوليهوش لحد ما أجي وبالمرة أشوف إيه اللي ناقصنا هنا وأجيبه

- أنت طلعتلي منين.. أنت ناوي تشلني
- أنا عملت إيه بس

ردّت عليه بحدة وكأنها تخرج ما بداخلها من غضب:

- حاجة ناقصة إيه وحمام إيه اللي بتتكلم عنه، أنت مش شايف الحالة اللي أنا فيها.. أنا خسرت كل حاجة حرفيًا.. كلبي مات بيتي أتحرق حتى يوسف مش قادرة أوصله.. لأ وكمان قضيت يوم في مكان قذر زي ده مع واحد معرفش حتى اسمه.. أنت بتتكلم بتقول إيه، هو إحنا ناقلين على بيت جديد مثلًا ولا فاكر أن أنا هفضل هنا طول عمري مش فاهمة
- أنا مش هعلي عليكي بس أنا كمان حصلي اللي حصلك

قامت من مكانها لتقف أمامه مباشرةً في هذه الطرقة الصغيرة وقالت:

- لا معلش ماتقارنش نفسك بيا، أنت واحد سوري يعني مش عندك دم نايم بمنتهى الأريحية ولا كأن حاجة حصلت وبتتعامل معايا كأننا نعرف بعض من ١٠٠ سنة، مش مكسوف من صوتك وأنت نايم إمبارح اللي كان عامل زي صوت الجرار
- أنا سايبك تتكلمي زي ما إنتي عايزة بس عشان عارف إيه اللي حصلك بس أنا مش مجبر أستحمل قلة ذوقك دي بصراحة
- لم نفسك واتكلم عدل، وبعدين أنت مين أصلا عشان تكلمني بالطريقة دي، بص أنا ماسكة نفسي بالعافية.
- إنتي مجنونة ولا حكايتك إيه بالظبط؟
- أهو أنت.

ثم أمسكت بهاتفه وضربته في حائط الطرقة الصغيرة وبدل من أن يصرخ عليها تنبه أن ضرب الهاتف بالحائط أصدر صوتًا مختلفًا ثم أخذ يلمس الحائط وسط نظرات إلينا المتعجبة وضرب برفق عليه فأصدر صوت وكأنه من الخشب فأخذ ينظر هنا وهناك ويعبث به حتى حرك جزءًا مربعًا في الجدار وكأنه باب خشبي لخزانة ووجد فتحة تتسع لشخص، شهقت أبصارهم فلا أحد يتمكن من تمييزه عن الحائط حين ينظر إليه من الخارج وكأنهم اقتلعوا جزءًا من الحائط نفسه، كانت الفتحة يعف عليها التراب وباتت فيها شباك العنكبوت وكأنها لم تُفتح منذ مدة طويلة، لم يستنتجا أهميتها أو ما الذي يجعل شخص يقوم بعمل فتحة مخفية في الحائط هكذا في بيت لا يتحمل أن يسكن فيه إلا شخص معدم أو مضطر، فمن سيسكن هنا ويمتلك شيئًا ثمينًا بقدر كافٍ لإخفائه هكذا، ولكن لن يطول كثيرًا على معرفة أهميته.

فتحا الباب وخرجا إلى الشارع ليريا إنه شارع جميع بيوته متهدمة والناس التي تمر به في حالة مزرية فلم يلاحظا هذا بالأمس؛ لأن السماء كانت مظلمةً، ولكن شيئًا غريبًا كان يحدث فأغلب المارين في الشارع كانوا ينظرون لكليهما نظرات تدل على المقت والحقد وكأنهم أصبحا دخيلين عليهم، ظل الحال هكذا حتى وصلا لمحل لتأخذ إلينا هاتفًا لعلها تصل ليوسف وكذلك لأحمد بعد أن كسرت إلينا هاتفه ثم غادرا مسرعين والأعين لاتزال تلاحقهما.

كانت الأوضاع كما هي مع بقية الناس في هذا العالم، فلا يزالون يعيشون بلا هدف فقط يأكلون ويشربون ويفعلون ما يحلو لهم دون قوانين غير مكترثين بمال أو بغيره، ولكن هذا ما كان يبدو فمنهم من تعرض لنكبة إثر اللعب في

القدر المحتم علينا والبعض الآخر بخير ولكن الآن فقط كان ينقصهم بعض الوقت ليعرفوا أيضًا أن ليس كل ما نتمناه خيرًا وليس كل ما نراه ويلفت أنظارنا جميلًا وليس كل ما تراه أعيننا حسنًا هو بالفعل كذلك، فالحياة لم تكن عبثًا أبدًا كأقدارنا التي كُتبت هكذا لتصل بنا لمكان ما لا نعلمه.

في صباح هذا اليوم كان يوسف قد علم متأخرًا بما حدث من حريق في الشارع الذي يقطن به، فالليلة البارحة كانا يوسف وندى بالخارج عند أحد أصدقائهم الذين دعاهما للعشاء وقضاء بعض الوقت سويًّا وحين ركبا سيارتهما وهما بالعودة للمنزل اصطدمت سيارة أخرى بهم فأصيب يوسف بعدة كدمات وكذلك ندى بالإضافة إلى فتح في رأسها، هذا ما قيل لهم حين أُسعفوا للمستشفى فلم يتمكن من العودة في تلك الليلة لبيته، وفي صباح هذا اليوم عادا ليجدا بيتهما عبارة عن حطام فلم تكتفِ النار بحرق البيوت فقط ولكن من شدة حرارتها قامت بتسييح الحديد فانهار الطابق الثاني على الأول، ولكن الوضع كان أسهل في بيت إلينا لأنه من الخشب فلم يأخذ مجهودًا كبيرًا لتختفي معالمه، وكان على يوسف أن يدرك أن الحادثة التي وقعت له منذ قليل ليلة البارحة كانت حماية من خالقه، فأي شيء أهون من الموت حرقاً.

فُزع يوسف حين رأى هذا المنظر وحالة الناس الباردة فلم يرف لهم جفن وكأن ما حدث أمرًا طبيعيًا وفُزع أكثر خوفًا من أن إلينا كانت بداخل بيتها حين حدث ذلك، فحاول الدخول لمنزلها ولكنه لم يجد الباب أصلًا فأخذ يسأل الناس حتى علم من أحدهم أنها كانت بالخارج وكانت تصرخ عليهم حتى سقطت على الأرض ولكنهم لم يجدوها بعدها، فبعث

يوسف ندى لتبقى ببيت صديقه عمرو وأخذ يطوف في الشوارع ولكن بلا جدوى وكأنها اختفت.

استمرت إلينا بالاتصال بيوسف طوال اليوم ولكن بلا جدوى، وحين حل الليل قررت النزول للشارع والعودة لبيتها لتقف أمامه وتنتظر مجيء يوسف ولكن عارضها أحمد وحدث جدال بينهم فقال لها في النهاية بأن تفعل ما يحلو لها، خرجت على إثر كلامه وحدها فوجدت الشارع معتمًا إلا قليل من نور خافت يأتي من مصباح معطل، تحركت إلينا متجهة إلى مكان بيتها وعندما وصلت وجدت أن الشارع تغيرت ملامحه بعد أن لبد حطام البيوت وجعل الشارع وكأنه ميت خاوٍ من بشر، لم يمر وقت طويل حتى أدركت أنها مخطئة بخروجها في ذلك الوقت وأنه كان يجب عليها الاستماع لما قاله أحمد ولكنها استصعبت عودتها إليه الآن واعترافها بأنها ما كان يجب عليها الخروج في هذا الوقت وتأكيد كلامه فقررت أن تنتظر قليلًا، كانت البيوت المقابلة لصف بيت إلينا تبدو وكأنها هُجرت من قبل ساكنيها ففقد الشارع روحه، كان يسوده الهدوء التام فمن يخطو خطوة فيه في أوله سيسمعها من يقف في آخره، وهذا ما حدث فأثناء وقوف إلينا سمعت خطوات شخص ما فنظرت للناحية الأخرى من الشارع فوجدت شخصًا ما آتيًا؛ فأسرعت لتختبئ داخل حطام منزلها من شدة خوفها، كان يحمل زجاجة خضراء كبيرة يشرب منها بجشع ويترنح يمينًا ويسارًا ويبدو كأنه ليس في وعيه، تسارعت نبضات قلبها حين اقترب من منزلها ولكن لحسن حظها لم يستوقفه شيء فأكمل طريقه حتى خرج من الشارع ولكن ظلت إلينا خائفة مختبئة لا تجرؤ على الخروج وفضّلت المكوث هناك حتى يحل الصباح، لم يمر وقتٌ طويلٌ حتى سمعت صوت

خطوات مرة أخرى ولكن في تلك المرة اقتربت الخطوات حتى توقفت أمام منزلها، أغمضت عينيها من خوفها بعد أن حاولت رفع رأسها لترى من يقف هناك فأصدرت صوتًا، اقتربت خطوات هذا الشخص على أثره ونادا " إلينا "، ففتحت عينيها لتجد أحمد بجوارها، كان من المفترض أن تقوم وتُلقي بنفسها في أحضانه بعد أن أتى ليراها ولم يتركها أو هذا ما توقعه أحمد ولكن وجد يد إلينا تدفعه بقوة قائلةً " أنت غبي! ماكونتش عارف تنده من بره.. جاي جمبي وتنده أنا شوية وكنت هأموت من الرعب " لم يتعجب كثيرًا من ردة فعلها وخرجا ليعودا لبيتهم المتهالك دون أن تنطق إلينا بكلمة واحدة طوال الطريق بعد أن تبين بأنها مخطئة.

جلس على كرسيه الكبير داخل غرفة مكتبه في نور خافت صادر من مصباح صغيرفي نهاية الغرفة، وكان أحد مساعديه يقف أمام باب الغرفة كعادته، فدعاه ليقترب من مكتبه ثم أخذ يحدثه:

- البشر لسه فاكرين نفسهم ملايكة وأنهم بيعملوا أخطاء صغيرة مش مؤثرة وناسيين أنهم أول حاجة عملوها إنهم خانوا الأمانة ودمروا الأرض.. مش قادرين يفهموا أنهم لو بس اتحطوا في الموقف المناسب هيعملوا حاجات بشعة.. ومارينا ابراموفيك[1] أثبتت ده بنفسها،

[1] مارينا ابراموفيك: هي فنانة تقوم بدارسة حدود الجسد وإمكانيات العقل، قامت بعدة تجارب من أشهرها التجربة التي قامت بها عام ١٩٧٤ حين وقفت ٦ ساعات بدون حركة أمام مجموعة من الناس وأعطتهم الحرية بأن يفعلوا بها ما يشاؤون فوضعت لهم مسدسًا، سكينًا، ورودًا وأشياء أخرى، في بادئ الأمر اكتفوا بالوقوف والمشاهدة منتظرين أحدهم أن يأخذ الخطوة الأولى حتى يتحلوا بالجرأة وبالفعل بعد مرور بعض الوقت، خرج أحد المشاهدين وأمسك بالمسدس ووضعه على رأسها وآخر قام بضربها بشوك الورود وفيهم أيضًا من قام بالتحرش بها وقام بتقطيع ملابسها، وبعد مرور الست ساعات وتحركت مارينا من مكانها، تركوا ما بأيديهم وفروا هاربين ولم يقف أحد منهم خلف ما قام به.

ودلوقتي هيتحطوا في نفس التجربة وهيعملوا حاجات كانوا فاكرين أنهم مستحيل يعملوها عشان يوصلوا للي هما عايزينه عشان كده هحاول بكل طريقة أحطهم في مواقف أطلع فيها المسخ اللي جواهم وأوريهوم أنهم مايصلحوش يأتمنوا على حاجة.

كان يسود الظلام في البيت الذي يقطنه أحمد وإلينا لا يقل عن الذي يسود في الشارع، فضّلت إلينا الصمت عن التكلم واحتمال افتخار أحمد عليها، فأخذ أحمد الخطوة الأولى وقال :

- إنتي كويسة؟
- آه مش هكون كويسة ليه يعني
- أجبلك حاجة تكليها
- مش عايزة
- طيب إنتي مش زهقانة
- لا مستمتعة جدًا زي ما أنت شايف
- أنا قصدي لو فيه حاجة عايزة تحكيها.. ممكن تحكيلي عادي

حركت رأسها متأففةً مما يدل على غضبها فأردف:

- طيب بكرة نروح شارعنا ونسأل الناس عن يوسف لو حابه
- ماشي.. أنا هانام

مدت جسدها على السرير وأغمضت عينيها لعلها تتخلص من هذا الكابوس ومرت الليلة في هدوء لتستعد لصباح صاخب كالهدوء الذي يسبق العاصفة.

في الصباح كُسِرَ حاجز الصمت في الشارع الذي يقتنوا الآن في هذا البيت المتهالك، وإذ بأصوات أناس يتكلموا صارخين في الشارع وكأنه يتم إرهابهم بشيء ما أو كأنهم يجروا وخلفهم طوفان يسرع كي يجرفهم، ثم في وسط هذا الصخب أتى طارق على الباب كان يضرب الباب بعنف وما إن فتح له أحمد حتى دفعه وقال له بصوت عالٍ بأن أدهم ورجاله سيدخلوا الشارع الآن فسأله أحمد مَنْ أدهم فقال له إنه يأتي من حين لآخر فيأخذ ما في البيوت من خير إذا وجد ويخربها ويأخذ أي امرأة تعجبه ثم يتركها في اليوم التالي في حالة يرثى لها، قال هذا الرجل ما عنده ثم انطلق مسرعًا فأدهم أصبح في الشارع ولا يوجد وقت للهرب، نظر أحمد لإلينا التي كانت ترتعد من الخوف بعيون وجلة ووجه يبدو أن صاحبه مُقيد ليس بيده حيلة ثم تذكر المخبأ الذي في الحائط فأمسك بيدها وأخذها معه لتلك الفتحة وباليد الأخرى فتح هذا المخبأ وحملها وأدخلها فيه وأخذ منها وعد بأن لا تخرج من هناك مهما سمعت ثم أغلق عليها وجلس لينتظر الخطر المحقق.

طُرِقَ الباب بعنف وحين فُتِحَ رأي رجال تدل وجوههم على سماتهم الحادة العنيفة وأمامهم في المقدمة رجل طويل القامة مفتول العضلات وسيم الوجه ذا بشرة سمراء وشعر فاتح فلو كان مطربًا لكانت النساء أُعجبت به حتمًا ولكن هيئته وملامح وجهه تدل على وحشيته وكأنه رجل خالٍ من الرحمة لا يشفق على أحد، ثم دخل وأخذ يجول في البيت ورجاله لايزالون ينتظرون على الباب وأحمد يدعو بداخله بأن لا يرى إلينا أو يحدث شيء عكسي، فقال بصوت جهور:

- مش عندك حاجة تتاخذ ولا تتكسر بس سمعت إن عندك حاجة هستلفها منك يوم وأرجعهالك
- مش فاهم

أقترب منه حتى أصبح أمامه مباشرةً وقال بوجه صارم:

- لا فهمت.. فين بقى البنت اللي عايشة معاك هنا
- أنا عايش هنا لوحدي.. بيتي أتحرق واضطريت أجي هنا
- ليه بتكدب.. ماتعملش فيها راجل وقولي هي فين عشان هتزعل جامد
- قولتلك أنا هنا لوحدي

وما إن انتهى من كلامه حتى وجد أحمد قبضة يده أمام وجهه فوقع أرضًا ثم تلاحقت الضربات من رجاله، وأحمد يحاول كتم تأوهاته حتى لا يرعب إلينا التي كانت تشعر بما يحدث في الخارج حسب ما سمعته فبدأت بالبكاء واضعة كف يدها على فمها حتى لا تصدر صوتًا وجسدها كان يرتعد وينتفض من التوتر والخوف على أحمد، ثم سمعت صوت باب البيت ينغلق انتظرت حتى تتأكد أنهم رحلوا فحل الهدوء في البيت وبدأت تظهر تأوهات أحمد التي كان يجتهد ليجعلها غير مسموعة، فدفعت إلينا بغطاء الفتحة التي تجلس فيها ونزلت سريعًا ذاهبةً باتجاه الصالة لتجد أحمد يتلوي من الألم على الأرض وينزف بشدة، فهرعت من المنظر وشُل لسانها فأحست أن الكلام أصبح ثقيلًا، وأخيرًا قالت له:

- أحمد.. أحمد عملوا فيك إيه.. أنا آسفة بجد

ثم جاهدت لترفعه من على الأرض ونجحت في النهاية بمساعدة منه بأن تضعه على السرير وتمد قدميه ثم ذهبت لتحضر صندوق إسعافات أولية

وجدته بجوار أحد السريرين عندما وصلا، وأخذت تضع المراهم على الكدمات التي كان يشعر أحمد حينها بأنها مكواة تكوي جلده وكلما مرت عليه تحرقه فتعالت نبرة الألم في صوته فأصبح لا يستطيع أن يخفيها وكلما سمعته إلينا يتألم تشعر بأن أحد يمسك قلبها بيده ويعتصره، وظلت مستيقظة بجواره طوال اليوم حتى حل المساء، كانت نادمة على معاملتها له فعلى الرغم من إنه لا يعرفها إلا إنه تلقي الضربات حتى لا يأخذونها، وتذكرت في تلك الأثناء محمد لو كان بمكان أحمد في ذلك الموقف لدخل هو الفتحة ليختبأ وتركها لهم بكل سرور، شعرت بالخجل من نفسها وتعجبت في نفس الوقت من تصرفه فكيف له أن يدافع عنها وهو لا يعرفها حتى.

عاودت الإتصال مجددًا على هاتف يوسف وفي هذه المرة رنّ أخيرًا

- يوسف
- مين معايا
- أنا إلينا يا يوسف
- إلينا إنتي كويسة إنتي فين طمنيني عليكي
- أنت اللي فين أنا روحت عند بيتك ولقيت الشارع فاضي
- الناس سابت الشارع بعد اللي حصل وأنا وندى عند عمرو
- عمرو... يوسف اطلع من هناك حالًا من عنده وخد ندى معاك
- إلينا عمرو ده صاحبي.. وبعدين أعد فين في الشارع مثلاً
- الشارع أحسن صدقني و...

- إلينا قوليلي إنتي فين عشان أجيلك.. أو لو تعرفي تعالي عند بيتي وأنا هخدك
- لا مش هعرف أطلع دلوقتي.. أحمد تعبان جداً
- أحمد.. أحمد مين
- آه صح أنت ماتعرفش.. بص لما تيجي هحكيلك
- إلينا أوعي تكوني عاملة مصيبة
- ماتخافش.. أنا هوصفلك الشارع وحاول توصل

مرت ثلاثة أيام انقطع الاتصال فيها بين إلينا ويوسف فإلينا لم تستطع الوصول إليه مرة أخرى، وأثناء تلك الفترة كانت إلينا بجانب أحمد حتى تحسن لكن بصورة غير كاملة، بعدها قررا الخروج للبحث عن مكان آخر لكل منهم للعيش فيه بدل هذا البيت المتهالك.

خرجت إلينا من البيت ومعها أحمد لتجد يوسف على بُعد أربعة أمتار فقط منها فجرت وأحتضنته في شوق وهو فعل ذلك بدوره ولكن أحد ما في هذه الصورة لم يكن مسرورًا فكان أحمد لايزال يقف عند باب البيت ناظرًا بحزن بعد أن شعر وكأن قلبه أخذ وغزه ينزف على أثرها ظنًا منه بأنه بالتأكيد يوجد شيء ما بينهما، ثم أعتدلت إلينا ناظرة إلى يوسف وقالت له :

- أنت كنت فين كل ده.. أنت عارف قلقت عليك قد إيه
- دورت عليكي كتير.. إنتي كويسة؟

ثم نظر يوسف لأحمد الواقف هناك ففى هذه اللحظة فقط لاحظ وجوده فأردف قائلًا :

- مين اللي واقف هناك ده؟
- ده أحمد عايزة أعرفك عليه أوي
- طب يلا عشان تيجي معايا
- طيب هروح أقول لأحمد عشان يجي
- يجي فين؟.. إنتي كنتي قاعدة معاه لوحدك في الخرابة دي؟

سكتت بعد أن شعرت بالحدة التي ظهرت في كلامه معها فأردف:

- أنا مش قولتلك قبل كده أن كل الرجالة وسخة، إنتي لسه عيزاني أعرفك
- تفتكر مثلًا كان عندي حل تاني وقلت لأ؟.. وبعدين أحمد حد كويس جدًا ووقف جمبي
- آه كويس.. كويس زي محمد كده صح؟
- يوسف ممكن ماتتكلمش بالطريقة دي معايا
- بس والله محمد كان أحسن برضو على الأقل ليه منظر عن ده
- تمام أنت شكلك مش هتسمعني أصلًا.. أنا هفضل مع أحمد هنا
- إنتي أتجننتي.. كل مرة بتغلطي نفس الغلط
- صح عندك حق

أدارت إلينا ظهرها له وتوجهت إلى أحمد وأمسكت يده وذهبت معه تاركةً يوسف وراءها بارق البصر.

الفصل السابع

ابتلع ريقه ثم جرا وراءهما ووضع يده على كتفها وأراد أن يوقفها ليتكلم معها حتى لا يدعها ترتكب حماقة أخرى فأظهر إنه راضٍ عما تفعله ووافق على التعرف على أحمد، وحين دخل إلى البيت أصابه الاشمئزاز والدهشة فلم يتوقع يومًا قط بأن إلينا ستتحمل المكوث بضع ثوانٍ في مكان كهذا، لم يجد يوسف كرسي حتى للجلوس عليه فعرضت عليه إلينا الجلوس على سريرها، ثم شرحت له ما حدث فعرف يوسف أن أحمد أيضًا تعرض لهذا الحريق الصاعد مثلهم ثم عرض عليهم الذهاب لمكان ما،فهناك مبنى ضخم يمكن من خلاله الذهاب إلى هناك ومعرفة إجابات لأسئلتهم فيوسف يريد أن يعرف من المتسبب بهذا الحريق أم إنه مجرد صدفة فعرضت إلينا الذهاب إلى هناك أولًا وطلبت من يوسف

اصطحابها ولكن ليس لطلب معرفة من المتسبب بالحريق كما يريد يوسف ولكن لتسأل سؤال آخر أخفته عنهما.

هذا المكان الذي أطلق عليه السكان باسم المكان المهجور لعدم تواجد أي مباني حوله أو بشر يأتون إليه ولكن عندما ذهبت إلينا لم تجده كما حُكي عنه، فكانت هي حوالي الرقم الخمسين في خط طويل من الناس يبدأ من باب حديدي ضخم فلم تشعر بأنه مهجور أبدًا وإنما هذا الكلام كان مجرد لغو.

كان مبنى ضخم يشبه هذه البيوت المسكونة في أفلام الرعب الذي يتجاهل مظهره كل أسرة جديدة ستسكنه وتتفاجأ بعد ذلك بأنه ملعون على الرغم إنه أظهر هويته في بادئ الأمر، فلون الواجه الخارجية للمبني أسود داكن ونوافذه رمادية وكان من طابق واحد ولكن على مساحة كبيرة يُصعب تحديد اتساعها، يظهر هذا البناء من الخارج وكأنه خالي من أي شيء، مظلم وكأنه لا يوجد به إضاءة، يبعث بحالة من الخوف والحزن والاكتئاب.

لم يستغرق الأمر طويلًا حتى وصل دور إلينا بعد أن خرج من دخل قبلها هائما وكأنه تلقي خبرًا سيئاً، وقفت إلينا تنظر لبابه المعدني القديم الضخم الذي يتطلب قوة عضلية لتحريكه يدويًا فلا يوجد من يجلس ليفتحه ولا يُفتح بتقنية إلكترونية، تفوح منه رائحة الصدأ ومَنْ يريد العبور منه عليه أن يفتحه بنفسه ويعبر بمفرده، وحول هذا المبنى كان يوجد سور شُكل على هيئة حيوانات غريبة لم نتعرف عليها من قبل، كانت وكأنها كائنات ممسوخة أو صور لحيوانات معذبة تثير الاشمئزاز والخوف معاً.

كانت تتحرك نسمة هواء خارجة من هذا الباب باردة تثير الخوف وتقشعر لها الأبدان، وتنتشر رائحة الدخان في الجو مُصاحبة لرائحة تربة مبللة بالمطر.

بعد أن نظرت إلينا ليوسف لتودعه لبعض الوقت دفعت الباب بعد عناء دون أن تعرف ما الفائدة من هذا العناء ودخلت لتعبر من طريق على جانبيه زرع يظهر باللون الأسود لشدة الظلام وكانت توجد بعض الأشجار على كل جانب، أشجار قديمة تظهر وكأنها شبح، عبرت إلينا الطريق حتى وصلت لباب خشب كبير كان مفتوح لتدخل هذا المبنى الذي كان يشع ضوء من الداخل عكس ما يظهر عليه خارجه، وكانت توجد شاشة أمام من يدخل من الباب الخشبي وعندما وقفت أمامها، ظهرت على هذه الشاشة كلمات تقول:

مرحبًا إلينا

ما تريدين معرفته يوجد بداخل الغرفة رقم ١، عليك قراءة التعليمات المكتوبة على باب الغرفة

نصيحة : لا تخبري أحدًا بما سوف تعريفه بالداخل أو أفعلي وسوف ترين إنه لن يتغير من الأمر شيئًا

أحسّت إلينا في هذه اللحظة بجدية الأمر وأنها مقبلة على أمر جسيم، ثم نظرت للغرف التي تملأ المبنى على كلا الجانبين الأيمن والأيسر من الباب، فهي ممرات طويلة لا يُرى ما في أخرها، نظرت لأقرب غرفة كان رقمها ٧٤٨، فأيقنت أن عليها أن تجري لتصل للغرفة سريعًا ولكن خوفها لن يسمح لها بذلك فكانت تمشي بخطوات بطيئة متلفتةً إلى الخلف

كثيرًا لأنها كانت تشعر بشيء ما يتحرك ورائها، وأثناء سيرها تذكرت خروج بقية السكان الذين كانوا يقفوا في الصف بسرعة ولكن هي تعرف بأنها ستستغرق وقتًا كبيرًا ولماذا هي غرفة رقم ١ بالتحديد؟ وهل هذا الرقم له علاقة بشيء ما؟ لم تجد إلينا جوابًا لأسئلتها فواصلت السير حتى وصلت لنهاية الممر الأيمن ووجدت الغرفة رقم ١ ووجدتها مفتوحة أيضا ولكن تذكرت إنه يجب قراءة التعليمات:

" إذا كنتِ متأكدة بأنكِ تريدين أن تعرفي فدخلي، ولكن تذكري لا يتساوي من يعلم بمن لا يعلم حتماً. عليكي أن تواجهي الواقع دائمًا فالأقدار لا تُكْتب برغبة منا "

وقفت على باب الغرفة مترددة للحظة ثم قررت الدخول، كانت غرفة ليست كبيرة ولكن فارغة تمامًا إلا من شاشة مثبتة داخل الحائط المقابل للباب لا يوجد ذر لها، فحينما دخلت أضاءت الشاشة وبدأت الحروف تظهر عليها واحدة تلو الأخرى بسرعة ليست بالبطيئة لتكون كلمات وتشكل جُمَلًا، فحين تتشكل الجملة بالكامل تنتظر قليلًا لتُمْحي وتظهر حروف أخرى تشكل جُمَلًا أخرى، فبعدما أضاءت الشاشة كُتِبَ:

مرحبًا إلينا

أنتِ الآن في المركز الذكي للتحكم في المنطقة

أي شيء متعلق بك مُسَجل لدينا

و يجب أن تعلمي أن وجودك هنا معناه موافقتكي التامة على التعليمات

و تذكري أن الندم مؤلم

لكِ سؤال واحد فقط لهذه الزيارة، فإذا قررتي ما تريدين معرفته فاسألي وستجدي الجواب، ولكن تذكري ليس لكل سؤال جواب كما يدّعون.
راودها لثاني مرة بأنها في حلم وأن هذا ليس واقعًا بالتأكيد وكانت المرة الأولى حين استيقظت أول مرة في بيتها، ابتلعت إلينا ريقها وتنهدت وقالت : أنا عايزة أعرف إيه المطلوب مني أعمله عشان أمشي من المكان ده كله وأرجع لحياتي العادية؟
أظلمت الشاشة فجأة ثم أضاءت بالكامل باللون الأحمر وكتبت بحروف سوداء:
أنتِ مميزة بالفعل..
يجب أن تنفذي المطلوب منكِ بالكامل وإلا لن تتخلصي من هذا المكان
ستفعلين شيئًا مخيفًا بالنسبة لكِ لطالما كان يراودك في صغرك
هل تتذكرين كيف قُتِلتْ أمامك؟
بالطبع تتذكرين
لذلك ستنفذين أنتِ الآن ما حدث وستقتلين يوسف بنفس الطريقة، لا تخافي لن يموت يوسف للأبد فسوف يختفي فقط من هذا العالم وسيظل موجودًا في عالمك القديم
و لكن يمكنكِ الاستعانة بأحد للمساعدة وما إن تفعلي ذلك سوف تتخلصي من هذا العالم نهائياً
و أيضًا لا تقعي في الخطأ الذي وقع فيه عمك وتأكدي بأنه لا أحد يراقبك
هل أنتِ متحمسة لتخلصكِ من هذا العالم الآن؟

جحظت عينا إلينا للخارج وظهرت علامات الخوف والدهشة على وجهها الذي ظهر باللون الأصفر وكأن الدم توقف عن الحركة في جسدها الذي توقف وكأنه أُصيب بالشلل، فكيف عرفوا عن هذه الحادثة البشعة التي حدثت أمام أعينها عندما كانت لاتزال طفلة.

في يوم ٤ / ٢ / ٢٠٠٥م

كان الطقس باردًا في ذلك اليوم والسماء مظلمة إلا من نجوم متناثرة مضيئة تزيل وحشة الليل، كان يوم جمعة فذهبت إلينا في ذلك اليوم إلى بيت عمها؛ لتلعب مع آلاء وآية بنات عمها ليس كالمعتاد فهم كانوا من يذهبون إلى بيتها دائمًا كل يوم جمعة.

بعد أن وصلت لمنزل عمها ومرت الساعات وهي تلعب معهما وقت الغداء وبعدها جلسوا ليشاهدوا فيلمًا هم الثلاثةفي غرفتهم بعد أن أغلقوا الباب والأنوار، وأثناء مشاهدتهم نامت كلًا من آية وآلاء وظلت إلينا مستيقظة مندمجة مع أحداث الفيلم فكانت المرة الأولى لها لمشاهدته على عكس أولاد عمها، ثم سمعت جرس باب الشقة وصوت زوجة عمها تفتح الباب ثم سمعت صوت شجار وعلى إثرها خرجت من الغرفة وأخفت نفسها وراء كنبة بدون أن يشعر بها أحد ثم رأت هذا المشهد البشع الذي لم تستوعبه تمامًا في هذا السن، كان عمها منفعلًا ويتهم زوجته بأشياء لم تفهمها ثم ذهب وأخذ لوح من الرخام وضرب زوجته على مؤخرة عنقها فوقعت وأصيبت بالإغماء، ثم ذهب وأتى بسكينة من المطبخ وأخذ يضربها عدة طعنات كان يفعل ذلك كأنه مغيب بعدها أخذ

السكين معه وخرج من الباب وكأن شيئًا ما يتملكه، كل هذا ولازالت إلينا تراقب ما يحدث، كانت خائفة؛ لأنها لأول مرة ترى عمها في هذه الحالة من الانفعال والغضب وخافت أن يضربها كما فعل لزوجته وحين سمعت صوت سيارة عمها ترحل، أخذت إلينا تنادي على زوجة عمها ظنًا منها أنها نائمة أو فقط دائخة ولكنها لم تجِبْها فقررت أن تهرب حتى لا يحزن عمها منها "كما تظن" هي الأخرى ويفعل بها ما فعله بزوجته.

بعد مرور التحقيقات وشرح إلينا لما فعله عمها واعترافه بأنه كان مغيبًا بعد أن عرف خيانة زوجته، عرض والدي إلينا على دكتور نفسي ولكن وجدوها بصحة جيدة فهي لم تستوعب ما حصل ولكن حين كبرت قليلًا وأدركت ما حدث أمام عينيها وتذكرت ما كان يُقال عن الحادثة وأن زوجة عمها قُتلت طعنًا وأنها لم تعد ترى بنات عمها بعد أن سافروا خارج البلاد مع أقارب لهم، فأصبحت هذه الحادثة كابوسًا أسود يراودها كل يوم لم تتخلص منه حتى كبرت، فكان هذا الكابوس يزورها في منامها من حين لآخر.

خرجت إلينا من هذا المكان المرعب هائمة على وجهها بوجه جامد لم يتحرك إلا عندما خرجت من الباب ووجدت يوسف ينتظرها فعندما وقعت عيناها على وجهه بدأت دموعها في الانهمار، وعندما اقترب منها؛ ليسألها عمّا حدث بالداخل، همت قائلة بابتسامة مزيفة:

- مش هتصدق لو قولت لك أني بعد ما دخلت فضلت جوه شوية بس ماردتش أدخل الروم اللي قالوا لي عليها عشان كنت خايفة أوي
- بس إنتي اتأخرتي جوه

لم يعطِها الفرصة؛ لترد عليه فأردف:

- غير أن شكلك بيقول غير كده.
- آه.. أصل مشيت شوية جوه ووقفت أفكر كتير أدخل ولا لأ.
- طب إنتي كويسة؟
- أيوة صدقني أنا بس خوفت وأنا لوحدي جوه فمخضوضة شوية

جلست إلينا على الأرض في هذا البيت المتهالك مستندة بظهرها على قاعدة السرير وضامة ركبتيها إلى صدرها يبدو عليها وكأنها تنظر لباب هذا البيت ولكن عيناها في الحقيقة لا ترى سوى هذه الكلمات المظلمة على تلك الشاشة ثم أخذت تفكر وتكلم نفسها:

- هو أنا ليه ماقولتش ليوسف على الكلام اللي ظهرلي.. يعني ده معناه إيه.. ممكن مثلا مارضتش أزعله أو يمكن اتكسفت أقوله.. أنا خايفة لأكون ماقولتلوش عشان بفكر إني أعمل كده في يوسف بجد.. هو أنا ممكن أكون وحشة كده.. بس أنا بحب يوسف.. أو مش بحبه وعرفاه مصلحة.. لا أنا بحبه لو يوسف زعل شوية مش بعرف أكون مبسوطة بس لو أنا عملت كده ليوسف مش هيموت هو بس هخلصه من المكان ده.. مش قادرة أعرف إذا كان دي حاجة حلوة ولا وحشة بالنسبة له ماتبرريش لنفسك يا إلينا يوسف مبسوط هنا كفاية إن ندى معاه.

في تلك الأثناء كان يوسف واقفًا في الصف أمام الباب الضخم لهذا البيت المهجور منتظرًا دوره فهو مُصرٌّ على أن يعرف من المتسبب في خسارته لبيته وشتاته، استغرق بعض الوقت حتى حان دوره ودخل ليعرف أن رقم غرفته ٥٢١ فذهب إليها وقرأ التعليمات بعناية كما فعلت إلينا وحين

وصل للشاشة في غرفته أظهرت له نفس الرسالة الترحيبية التي ظهرت لإلينا، فردّ عليها قائلًا : أنا عايز أعرف مين السبب في الحريق اللي حصل في بيتي وبيت إلينا؟

حسناً

إنه ليس بشخص بعيد عنك، إنه أقرب مما تتصور

هو من تسبب في نشوب الحريق وكذلك هو من تسبب في كل شيء كان وسيكون..

و لكن ليس من الصحيح أن أخبرك باسمه، فعليك أنت أن تعرفه بنفسك، لأنك إذا عرفته الآن من المحتمل أن يغير من القدر وكما نحن كلنا نعلم أن القدر لا يتغير

كل ما عليك معرفته الآن هو أن ذلك الشخص لن يتوقف ضرره لك عند هذا الحد فقط..

إنك تعتقد إنه قريب منك حقًّا لذلك احذر..

تمالك يوسف نفسه وبعد أن خرج من ذلك المبنى أخذ يكلم نفسه ليفرغ غضبه الذي تملكه قائلًا :

- نصابين كلهم نصابين بدل ما يقولوا مانعرفش بيقولوا أي هرْي.. أنا مفيش حد قريب مني ممكن يخوني أبدًا.. عايزني أشك في اللي حواليا عشان أتجنن كمان

و مضى في طريقه يكلم نفسه هكذا حتى عاد لبيت صديقه عمرو.

كانت لاتزال جالسة تفكر بما مررت به حتى قطعها عن تفكيرها قائلاً:

- إنتي دبلتك ضاعت ساعة الحريقة دي

رفعت رأسها لتنظر له قائلة :

- إيه! دبلة
- آه.. أصل لسه واخد بالي دلوقتي إنك مش لبساها
- مين قالك أني مخطوبة بقى؟
- عشان شوفت دبلة في أيد يوسف

ابتسمت إلينا بداخلها ولكنها لم تظهر ذلك له وقالت:

- بس يوسف لابسها في الشمال
- متجوزين؟؟

ضيقت عينيها وهي تنظر له فأردف:

- يعني أنا قلت مستحيل تكونون متجوزين

انفجرت إلينا من الضحك على ما يقوله أحمد وبالأخص على تعبير وجهه، ثم اقتربت منه وأردفت :

فكرت في احتمال أن يكون يوسف متلغبط ولابسها في الشمال بالغلط

- ظهر القلق على وجه أحمد وقال مندفعاً:
- إيه ده.. هو ممكن؟
- أنا مش مخطوبة يا أحمد.. يعني قصدي أن يوسف صديقي بس وكمان زي أخويا الكبير وهو متجوز

ظهرت بعد هذه الجملة ابتسامة عريضة على وجه أحمد الذي كان يبدو عليه وكأنه تلقى خبرًا سعيدًا لتوه وقال:

- إنتي بتتكلمي بجد؟
- والله

وضع يده على صدره وأخذ نفسًا مما يدل على إنه مطمئن الآن وقال لنفسه بصوت منخفض :

- أحمدك يا رب

فنظرت له إلينا مبتسمة وحين تنبه لها، قرر التصرف سريعًا قبل أن تكشفه وقال بوجه حازم:

- قصدي يعني.. أنا قلت مستحيل برضو يسيبك قاعدة معايا ويكون فيه حاجة مابينكم فأنا قلت أتأكد منك برضو.. عشان ماكونش بغلط في حقه

انطلقا في الصباح مع يوسف بعد أن اتفقا على أن يلتقيا به وذهبا للبحث عن بيت لكل واحد منهم للمكوث فيه، وأخذوا يسألوا جميع من يقابلوهم في الشوارع ما إن كان ممكنًا العثور على بيت لتملكه ولكن بلا جدوى فلا أحد يعلم شيئًا، استمروا في البحث لساعات، ثم اتفقوا على أن يذهبوا للمنازل المقابلة لبيوتهم المحترقة ظنًا منهم بأن سكانها قد أخلوها، ولكن حين ذهبوا ليطرقوا بابهم وجدوا جميعهم لازالوا ساكنين وعرفوا منهم أنهم حين حدث ذلك الحريق أرادوا بالفعل ترك بيوتهم ولكن بعد أن تيقنوا بأنه لا بديل لها فلكل ساكن بيت واحد فقط وليس بإمكانه امتلاك غيره إلا في حالة إيجاد بيت لأشخاص قد ماتوا، فعادوا إليها مرة أخرى مجبرين، فاتفقوا أن يبقى الحال كما هو عليه فيوسف يسكن مع ندى في بيت صديقه عمرو وإلينا تمكث مع أحمد في هذا البيت المتهالك، على الرغم من عدم رضا إلينا على بقاء يوسف عند عمرو وحاولت إقناعه لكن لم يتغير رأيه؛ لعدم وجود سبب لديها لقولها هذا،

فهي لا تستطيع أن تقول له ما حدث بالماضي الذي لا يتذكره، وكذلك يوسف لم يكن راضيًا عن بقاء إلينا مع أحمد وعرض عليها أن تبقى معه في بيت عمرو ولكنها أبت.

مرت الأيام وظل كل شيء على حاله حتى أتى يوم مشئوم على يوسف عاشه من قبل في الماضي وكُتب عليه أن يعيشه مرة أخرى، ففي يوم ما حين عاد للبيت وجد ندى تجلس بجوار عمرو على الأريكة التي تتوسط صالة البيت، جلسا مقربين وكان يبدو عليهما أنهم يريدانِ أن يتكلما معه في أمر ما فجلس على الكرسي المقابل لهما غير مدرك بعد لما يحدث، فهم عمرو قائلًا :

- يوسف أنا آسف بس مش هأقدر أستضيفك في بيتي تاني
- طب ماينفعش تستني يومين عشان أتصرف في مكان والله عشان ندى مش عشاني
- لا ندى هتفضل عندي
- مش فاهم

ثم قامت ندى ودخلت الغرفة وأغلقت الباب، ثم أردف عمرو قائلاً:

- بص يا يوسف إحنا بقالنا كتير صحاب وأنا عمري ما تخليت عنك كنت جدع معاك على طول بس اللي حصل غصب عني.. من ساعة ما عرفتني على ندى زمان قبل ماتتجوزوا عجبتني بس قلت دي حبيبة صاحبي وماينفعش أفكر فيها بس غصب عني.. الواحد مش بيعرف يتحكم في إنه يحب حد

وصل غضب يوسف لذروته وقام وأمسك بياقة قميص عمرو قائلًا : آه يا وسخ

- أنا مقدر إنك متضايق بس زي ما أنت بتحبها أنا كمان بحبها

شد على ياقته أكثر بقبضتيه وقربه من وجهه وقال:

- دي مراتي يا حيوان اللي بتتكلم عليها كده
- هتطلقوا ومش هتبقى مراتك بعدها
- أنت واحد وسخ وضحكت عليها

ثم دفعه ليفلته من قبضتيه ليدخل الغرفة على ندى ليفهم منها ولكنها ابتعدت عنه حين اقترب منها وقالت وهي باعدة عينيها عن عينيه:

- يوسف أنا عايزة أطلق منك أنا آسفة بس أنا اكتشفت أني عمري ما حبيتك أنا طول الوقت كنت بحب حبك ليا بس.. واكتشفت أن الحياة معاك كانت مملة وأني مش سعيدة معاك

كانت وقع كلماتها عليه كالسكاكين التي غرست في صدره فقال وهو ينزف:

- ندى إنتي بتقولي إيه.. الواد ده لعب في دماغك إنتي طول عمرك حبيبتي.
- يوسف أنا حبيت عمرو فأرجوك ماتعملش مشاكل وسيبني .

صعقته كلماتها فأصيب بالجمود وكأنه أصبح مغيباً لا يفقه القول ثم خرج من الغرفة في هدوء وكأن عقله تعطل فهو لا يستطيع أن يدرك ما تعرض له وحين وصل للباب الخارجي للبيت تذكر ما قيل له في البيت المهجور بأنه سيخونه أحدًا قريبًا منه فعرف إنه عمرو من تسبب في طرده من بيته وشتاته فالتف وقال له :

- ليه حرقت بيتي.. طب ممكن أعرف لوحدي ليه.. بس ليه حرقت بيت إلينا إيه ذنبها؟
- عرفت إن كل واحد له بيت واحد بس وكنت عايز ندى تبقى قريبة مني، كنت رجعت في كلامي بس مالحقتش.. وبعد ما لقيت إن مفيش أمل في أني أطفي النار، حرقت بيت إلينا كمان عشان ماتروحلهاش وتجيلي .
- أنا إزاي ماعرفتكش؟
- أنا كنت ممكن أعمل أي حاجة عشان أكسب ندى.. وبعدين تفتكر أنا كنت هعمل كل ده من غير ما أكون عارف إن ندى ممكن تسيبك وتختارني أنا.. ماتلومنيش أنت كنت أعمى وأنا ساعدتك تشوف.

لم ينطق يوسف بكلمة أخرى وخرج في هدوء، على الرغم من إنه كان يبدو عليه التقبل لما حدث إلا إنه كانت هناك حرب ناشبة بداخله وشعور شديد بالألم يمزقه فلا يجد لنفسه ملتحدًا يأوي إليه فأخذ يمشي في فجاج طويل لا يفكر إلى أين يذهب فكل ما يشغل باله هو صورة ندى أمامه وهي تقول له بأنها لم تكن تحبه فأخذ يعيد أمامه كل ما مرا به ليرى لماذا لم تحبه ندى أم هو أعمى كما قال له عمرو ولطالما كانت ندى تشفق عليه، ولكن لا أحد يتزوج أحدًا لشعوره بالشفقة اتجاهه أم هي استغلته وحين ظهر أمامها من شعرت بالحب اتجاهه استغنت عنه، أصبحت الأفكار تتراكم على كاهليه حتى أصبحت ثقيلة يصعب تحملها فأطلق صرخة دوت في الأرجاء ثم سجد على ركبتيه، وأخذ يضرب بقبضتيه الأرض حتى جرحهما ثم استلقى على الأرض بعينين تملؤهم الدموع وجسد منهك ويديه تنزفان دون انقطاع.

في الصباح الباكر كانت قد عُلِقت على كل باب بيت من بيوت هذا العالم، كانت عبارة عن ورقة بيضاء كبيرة نسبيًّا معلقة بلاصق قوي من طرفيها العلويين على الأبواب، كان مكتوبًا عليها " يجب على كل السكان ترك كل ما يفعلوه وأيضًا مغادرة أي مكان مغلق حتى بيوتكم، في تمام الساعة السابعة مساءً يجب تواجدكم جميعًا في الشوارع "

سخر الكثير من السكان من هذه الطريقة القديمة فكان من الأسهل إرسال رسائل للهواتف المحمولة لضمان رؤيتها، وفي مَن سخر وقرر أن يعاند وأن الموضوع ليس مهمًا فما من الممكن أن يحدث، وهناك أيضًا من شعر بالقلق وكانت إلينا منهم التي راودها شعورًا سيئًا حين انتهت من قراءة هذه الورقة فهي تشعر أن ما سيحدث لن يكون في صالحها أبداً.

طرق يوسف بيت إلينا وأخذها وخرجا؛ ليتكلما وحكى لها ما حدث البارحة، فكان ردّها عليه:

- أنا عارفة إن المكان مش حلو بس تعالى اقعد معانا فيه وخلاص
- تفتكري بعد كل اللي حصل ده.. ده اللي فارق معايا أنا هبات فين
- العيب مش فيك يا يوسف أنت أحسن حد عرفته.. غلطك إنك اخترت الناس الغلط

قال لها بنبرة يعتريها الألم الذي يحوم بداخله:

- لا يا إلينا، ندى كانت بتحبني أنا متأكد.
- وعمرو؟.. كنت بتقول إنه صاحبك وبيخاف عليك.. يوسف ماتلومش نفسك صدقني عمرو ده أصلا واحد مريض وكويس أنهم عملوا كده مش أحسن ما تعيش مع ناس مش بيحبوك

- وأنا عايش ليه.. استنى حد تاني يبعني.

انتهت المحادثة كما بدأت فلم يتضاءل ألمه ولا أسئلته تمت الإجابة عليها. بعدما افترقا كلًا منهما جلست إلينا لتفكر فيما قاله وأخذت تسأل نفسها لماذا يكون يوسف خاسرًا دائمًا على الرغم من أنه أكثر من ضحى؟، وماذا لو علم بأنه طُلب منها أن تقتله، هل هو معاقب بخيانة القريبين منه؟ ولكنه لا يستحق شيئًا من هذا، و في النهاية لامت نفسها فهي من تسببت له في ذلك الألم خاصةً بعد أن قال لها بأنه كان يُفضل أن يحدث ما حدث لو كانا في البداية ولم يتزوجا هو وندى بعد، كان سيكون أقل ألمًا من الآن، أحسّت حينها أن كل ما تمنته انقلب عليها، فسارة ويوسف أصبحوا أتعس؛ حتى هي لم تجد مفرًا من الوحدة بالإضافة إلى خسارتها لكل ما تملك، حتى تخلصها من كل هذا مستحيلًا كما تعتقد.

قبل أن تأتي الساعة السابعة بدقائق، كان الكثير من الناس مستمرين في حياتهم الطبيعية فمنهم النائم الذي قرر إنه لن يفوته كثيرًا إن لم ينزل ومنهم من قرر إنه لن يتواجد كما كتب في الورقة فقط سيسأل من كان حاضراً، ولكن أيضًا كان يوجد الكثير الذين وقفوا في الشوارع ليزحموها قبل حتى الميعاد المحدد والذين كان منهم إلينا التي وقفت أمام باب منزلها هي وأحمد منتظرة ما سيحدث بقلق وتوتر أخفتهما فيظن من يراها أنها بأفضل حال ولكن أحمد كان يعرف ما تشعر به ولكن قرر مجاراتها.

في تمام الساعة السابعة انطلق صوت صفير عالٍ في كل مكان وكأنه يأتي من السماء صرخ على أثره كل السكان من في الداخل منهم ومن في الخارج ومن كان نائمًا أيضًا واضعين أصابعهم في آذانهم، ثم بعد دقيقة كاملة من

هذا الصوت المؤذي توقف فجأة ولم يتأذَّ أحد منه ولكن أجبر من لم ينزلوا على الخروج للشارع لمعرفة ما يحدث، لم تمر دقيقة أخرى حتى ظهر مربع كبير أسود في السماء، كان كل من يراه مهما كان مكانه في هذا العالم يراه كبيرًا واضحًا أمامه تمامًا يلمع في السماء، شهق الناس حين رأوا هذا المنظر على الرغم من معرفة بعض منهم إنه مُنفذْ بخاصية الهولوجرام، وأحسوا بشيء من الخوف ازداد أكثر حين انطلق صوت خشن عالٍ من السماء وكأنه صوت مبرمج وليس صوت شخص عادي يقول :

" إنكم لبشر حمقى حقًّا لا تفعلوا ما هو صواب دائمًا خطائين، مقبلين على العصيان قبل الطاعة، تشعرون دومًا بأنكم أعلى وأسمى ما خُلق ولكن لطالما كنتم أقبحهم، تحبون أن تعيشوا كما تعيش الحيوانات تأكلوا وتتكاثروا كما تفعلون الآن غير مبالين بما خلقتم من أجله، ولكن هذه لم تكن حياتكم أبدًا لم تكونوا كما أنتم الآن، فأنتم الآن في مكان ليس لكم، بعد أن تم العبث في أقداركم وقد جمعتم اليوم؛ لأذكركم بما كانت عليه حياتكم قبل أن تأتوا إلى هنا، سيتمنى أكثركم بأن يعود إلى ما كانت عليه حياته قبل أن يدب بقدميه هذا العالم.. فلكم هذا، سيُطلب من كل واحد منكم أن يفعل شيئًا مختلفًا عن الآخر يتعلق بأكثر مخاوفه أو قصة في الماضي ترهقه حين يتذكرها فسيكون تحديًّا لكل منكم، ستدور من الليلة في بالكم الكثير من الأسئلة أنصحكم بأن تتوجهوا إلى الـ MYSH الذي تم بنائه خلال الفترة الماضية وعلم به بعضكم، إذا ذهبتم إلى هناك عليكم باتباع التعليمات، وما أن تختفي هذه الكلمات البيضاء من أمامكم ستتذكرون حياتكم الواقعية..

و أيضًا يجب أن تعلموا بأن من تسبب في كل هذا ومن أتى بكم إلى هذا العالم هو واحد منكم، لم تكشفوه بعد ولكن يجب أن يعلم هذا "الشخص المختار" لن يطول الأمر كثيرًا على كشف من يكون للجميع.. "

اختفت هذه الصفحة السوداء التي كانت معلقة في السماء وما عليها من كلمات بيضاء كانت تلاحق ذلك الصوت المجهول صاحبه، لم تشعر إلينا بأثر هذا الاختفاء؛ لأنها كانت تعرف أنها تعلم حقيقة حياتها من قبل بالفعل، نظرت إلى أحمد فوجدت عينيه تجحظ وجبهته تنفرد وحاجبيه كان قد رفعهما لأعلى قليلًا وكل علامات وجهه تدلّ بالفعل على أنه قد علم شيئًا أو أنه تذكر، فأخذت إلينا تنظر لوجوه الذين كانوا حولها فوجدت وجوهًا قلقة وخائفة وأخرى مذهولة متعجبة وكأن هناك شيئًا أصابهم ولكنه مرّ ولم يؤثر بها، أخذت إلينا تكلم نفسها:

" الكلام اللي اتقال معناه أن كلنا ماكوناش فاكرين، يعني ماقالوش أن فيه فاكر وفيه لأ، أنا مش فاهمة حاجة.. ده معناه إيه!، يعني ماحدش عارف أني فاكرة ولا فيه ناس فاكرة عادي وعاملة نفسها لسه بتفتكر، أنا ليه مختلفة وحاسة أني مخنوقة وعايزة أحكي اللي جواياه ده لحد يمكن أفهم.. لا أنا هسكت.. كله هيبقى تمام كله هيعدي "

انفضّ الناس هائمين لا يرى أحدهم الآخر فكلًا منهم يفكر في همه وعبء الحقيقة التي علمها مؤخرًا، فنحن هكذا دومًا لا نفكر في غيرنا إلا عندما لا يوجد ما يشغلنا عنهم وإن وُجد لن نرى غير أنفسنا، فالأنانية من أهم صفات البشر فحين ينتهي بنا المطاف ويحمل كلًا منا كتابه لن يهمنا إلا نجاتنا وسنصاب بالعمى عن ما ادعينا التضحية من أجلهم.

الفصل الثامن

قررت إلينا الذهاب بمفردها في هذا اليوم؛ لأنها تعلم أنها من الصعب الخروج من هذا المكان المشؤوم وهي سعيدة؛ بالإضافة إلى أنها لا تريد أن تُعلم أحدًا بما ستسمعه بالداخل، بعد الوقوف لبضع ساعات بين تزاحم الناس الذي ازداد عن المرة السابقة لمجيئها، دخلت وقطعت المسافة المعهودة جريًا هذه المرة، دخلت الغرفة بعد أن أعادت قراءة التعليمات مرة أخرى على نفسها وكذلك الرسالة المبدئية التي تظهر على الشاشة، أخذت إلينا نفسًا عميقًا أخرجته بصعوبة وكأنه علِق في داخلها ثم قالت:

- أنا فيه حاجة مفهمتهاش من أول يوم جت هنا ومسألتش عنها، لما اتجمعنا في الشوارع وكل الناس هنا افتكرت حياتها القديمة أنا ماحستش بتغيير عشان أنا كده كده كنت فكراها وكنت فاهمة إن فيه ناس زيي عادي بس اللي اتقال في اليوم ده معناه أن كل الناس مش فاكرة.. طيب اشمعنا أنا

- حسنًا.. سبق وأن قلت لكِ إنك مميزة بالفعل لأني علمت من سؤالك حينها إنك تتذكرين، لذلك لم يكن عليكِ أن تسألي هذا السؤال إنما كان عليكِ أن تسألي هل أنتِ ال TCO

اقشعرّ بدنها وكأنها سمعت ما كانت تخشاه وكانت تحاول إقناع نفسها بأنه مجرد وهْم تتخيله.

- نعم.. أنتِ الشخص المختار، إنه لحمل ثقيل حقًّا ولكن من يفعل خطًا يتحمله فلن يُحاسَب عليه أحد غيره

هل تتذكرين ما كان عليك فعله لكي تعود حياتك كما كانت؟

بالطبع تتذكرين فهو أمر من الصعب نسيانه.

اعلمي الآن أنك حين تنفذين ما طُلب منك لن تتخلصي أنتِ فقط من هذا العالم بل جميع من هنا لن يكونوا مجبورين على تنفيذ ما طُلب منهم سيكفي أن تضحي أنتِ فقط؛ لإنقاذهم.

و لكن إنه من الخطأ قول ما ستفعلينه تضحية فأنتِ تستحقين كل هذا.

كما أنه لن يتذكر أحدًا إنه كان في هذا العالم يومًا واحدًا حتى وكأنه لم يكن ستمضوا في حياتكم وكأنكم لم تتركوها قط، حتى مَن تعرفتِ عليهم هنا حين تقابليهم إن عُدتي لحياتك القديمة لن تتعرفي عليهم ولو حتى قليلًا.

لذلك إن عدتم ستمضون في حياتكم وكأنكم لم تتركوها قط..

دمعت عينا إلينا على الرغم من أنها كانت متيقنة من هذا ولكن كانت تأمل أن تكن مخطئة، خرجت هائمة لا تريد أن تصدق ما سمعته، فإن كان قتلها ليوسف في البداية مجرد احتمال فالآن أصبح أمرًا حتميًّا ولاسيما إذا علم الناس بهذا الأمر، إنه لأمر مرعب حقًّا، ثم توقفت فجأة وقالت لنفسها:

" يعني حتى لو كل الناس عملوا اللي اطلب منهم ورجعوا وأنا ماقتلتش يوسف هفضل هنا لوحدي!! "

أحسّت إلينا فجأة بضباب يحوم بداخلها والرؤية أصبحت معتمة فلا مخرج من هذا الأمر فهي كانت تشعر أنها وحيدة دائمًا وحتى حينما غيرت واقعها لم تتخلص من الوحدة، ولكنها لم تعرف الوحدة من قبل فلو حدث ما قالته ولم تتخلص من هذا المكان الجائح ستكون وحدها بالفعل.

عادت لتجد أحمد فقط من في البيت وقد جلبت من الخارج قبل عودتها بعض الطعام، وحين دخلت وضعته على المنضدة وسألت عن يوسف فأجابها أحمد بأنه لم يعد للبيت بعد، كانت قد رسمت على وجهها تعابير مخالفة عمّا بداخلها متصنعة عدم القلق الذي اجتاحها منذ أن علمت بأنها الشخص المختار ولكنها نويت أن تخفي هذا الأمر حتى ترى ماذا ستفعل، جلسا ليتناولا الطعام و في أثنائها كان ينظر لها أحمد بين حين وآخر ثم يبتسم ويكمل طعامه حتى سألته إلينا عن سبب تصرفه هذا :

- إيه اللي مخليك مبسوط أوي كده؟

فابتسم ابتسامة خفيفة ثم بعدها ترك الطعام الذي بيده ونظر إلى عيني إلينا وقال لها:

- إنتي أول مرة شوفتيني كان امتى.. أقصد من بعد ما كلنا افتكرنا حياتنا زمان.. مش فاكرة إنك شوفتيني؟

اختفت الابتسامة المصطنعة التي كانت على وجه إلينا وتبدل معها تعابير وجه صامتة فهي تشعر بحمل ثقيل لا تستطيع أن تشارك حمله مع أحد، تنهدت ثم قالت:

- أول مرة شوفتك لما البيوت اتحرقت.. ما افتكرش أني شوفتك قبل كده.

- لا شوفتيني واتكلمنا كمان.

سكتت ودلت تعابير وجهها على عدم تذكرها فأردف:

- هفكرك..

و أخذ يقصّ عليها ما حدث قبل عام تقريبًا..

في خريف ٢٠١٩

كانت الأوراق قد بدأت في التساقط والالتفاف حول الأشجار بفعل النسمات التي تتتابع في الجو والشمس تضيء الأرض بدورها باعثة بحرارتها في الأرجاء، وكانت إلينا في ذلك الوقت متوجه إلى أحد الأكشاك الموجودة في الشوارع وأقبلت لتفتح إحدى الثلاجات؛ لتأخذ زجاجة مياه حينها اندفع مجموعة من الشباب أمامها في همجية؛ ليشغلوا المكان وكأنها غير مرئية، تمالكت إلينا نفسها في تلك اللحظة بصعوبة وقبل أن تنطق بكلمة لتوبخهم كان قد أتى شخص ما ليبعدهم من أمامها قائلًا :

- ماينفعش كده يا جماعة عيب.

ثم نظر لإلينا وقال لها :

- أنا آسف والله على اللي صحابي عملوه ده.. اتفضلي خدي اللي إنتي عايزاه.

ابتسمت له ابتسامة خفيفة؛ لتعبر عن امتنانها فاقشعرّ جسده وتحركت تفاحة آدم عنده، ثم قالت له:

- لا ماحصلش حاجة.. شكراً

و قبل أن يرحل رفع يده ليودعها

ذهبت بعدها إلينا لنور وسارة لتقابلها كما اتفقا معها وحكت لهم ما حدث فوجدتها يسخران منها ويقولان لها أن ما حدث أمر طبيعي ولا يدل على شيء وحين عادت إلى بيتها في نهاية اليوم فتحت مذكراتها "الاستثنائية" لتكتب :

قابلت شخصًا ما خفيفًا يشبه نسمات الهواء اليوم، أشعر كأنني نسيت شكله من الآن ولكن أظن أنني لن أنسى ما فعله معي أبدًا مهما استصغره البعض أو اعتبروه شيئًا تافهًا ومن الممكن أن يحدث مع أي أحد، ولكن هم لن يفهموا ما أقصده ولا يعرفوا أن سماته كانت ظاهرة على وجهه وابتسامة عينيه التي أظهرت كم هو شخص جيد .

أتمنى أن ألقاه مجددًا وتتيح لي الفرصة أن أتعرف عليه

- افتكرتي

- ممكن تفتكرني بحوّر بس لما شفتك أول مرة حسيت أني شفتك قبل كده فعلاً

- بس أنا بقى كنت متأكدًا أني شفتك وكلمتك كمان قبل كده

احمرّت وجنتاها وأبعدت عينيها عنه في خجل فقال لها:

- عارفة.. أنا مش عايز أمشي من هنا

عاودت النظر له وقالت:

- بجد
- آه بس مش عشان هنا أحسن

أحسّ أنه سيتورط إن قال ما بداخله فإذا فعلها سيفضح أمامها بالفعل، ففضّل أن يقول إجابة مناسبة عوضًا عما يفكر فيه، فقال :

- لا أنا بهزر أكيد مش عايز أفضل هنا

ثم سيطر قلبه على لسانه فقال :

- مع أني كده هنساكي.. بس حاسس أننا لو رجعنا هنتقابل وهنتعرف على بعض وأكيد هتبقى حالتنا أحسن من دلوقتي

ابتسمت إلينا له وأرادت أن تفيض له بما يوجد بداخلها من هموم وأسرار لا يعرف عنها شيئًا ولكنها عادت لتغلق فمها مرة أخرى خوفًا من أن تُشَوه صورتها أمامه ولا يراها إلينا الفتاة المظلومة التي خسرت كل شيء على الرغم من أنها لم تخطئ في شيء ففضّلت أن تخفي عنه.

لم تنعم بنوم هادئ في تلك الليلة، فأفكارها كانت تعصف بعقلها يمينًا ويسارًا والتردد كان يشكل حملًا ثقيلًا بداخلها وكأنها تحمل حجرًا، فهي قد سئمت من تحمل أعبائها بمفردها فهي في أمسّ الحاجة بأن تحكي لأحد ما مرت به وتحكي له حقيقة أمرها، فلم تجد خيارًا آخر أمامها غير يوسف، فإنه تعود أن يستمع لها وحتى للأخطاء التي ترتكبها ويساعدها في حلّها وبالطبع لن تخجل منه كما تخجل من غيره، ولكن ما جعلها مترددة هذه المرة بأن ما ستروبه له لا يمسها فقط بل يمسه أيضًا ووصل أذاه له فلا تعرف هل من الصواب إخباره أم لا؟، ثم حسمت تفكيرها بأن تقول له؛ لتتخلص من التفكير الذي أرهقها وألمّ بها وستتحمل نتيجة

ما ستفعله، فبكل الأحوال هو يعرفها جيدًا وسيتفهم أنها لم تكن تنوي أن تضر أحد.

خرجت للباب متوجهة للبيت الجديد الذي يسكنه، كان بيتًا أكثر سوءًا من البيت الذي تقطنه، فكان هذا البيت في الشارع المقابل لشارعها، وكان لأحد الأشخاص ولكنه قتل نفسه وترك بيته خاويًا وما إن علم يوسف حتى أسرع بالذهاب إليه متجاهلًا حالته الرثة.

دخلت إلينا للبيت وجلست منتظرة مجيئه من غرفته بعد أن فتح لها الباب، واستأذنها أن يغسل وجهه ويغير ملابسه وفي تلك الأثناء جلست متوترة تعض على بنانها وتحرك رجليها في توتر تحاول أن تتحمل وتظل جالسة ولا تقوم لتفر، وحين جاء وجلس على الكرسي المقابل لها أحسّت أن روحها تبحث عن مخرج لتتخلص من حبسها داخل جسدها، ثم أغمضت عينيها وقالت :

- يوسف... أنا فيه حاجة لازم أقولها لك عشان لو فضلت ساكتة أكتر من كده هيجرالي حاجة

تنهدت ثم أردفت:

- عارف.. أنا كان نفسي أوي ماعيشي مع بابا وماما كنت فاكرة إني كده هكون مبسوطة أكتر.. مفيش تحكمات وأبقى حرة أعمل اللي أنا عايزاه.. بس اكتشفت اللي أنا عايزاه وهما كانوا بيرفضوه ماكنش صح.. يعني مثلا لو كانوا وافقوا أزرع الأزهار اللي نفسي فيها كنت هأهملها وهتموت.. حتى ليو ماكونتش عايزة أجيبه عشان نفسي أربي كلب أو عايزة حاجة تسليني أنا كنت عايزاه وخلاص ممكن تقول

حاجة بدور عليها عشان أطلبها أو كنت عايزة أطلب أي حاجة هما مايوافقوش عليها وخلاص.. كنت إنسانة تافهة سطحية بتقول إن حياتها بشعة.. ماكونتش أعرف إن أمنية غبية مني ممكن تبوظ كل حاجة

أحسّت من تعابير وجهه إنه لا يدري ما يسمعه فقال:

- أنا مش فاهم حاجة

أغمضت عينيها ونظرت للأرض فانسالت دموعها على خديها فمسحتها بيدها ثم رفعت رأسها وأكملت بصوت متحشرج جعلها تتكلم ببطء حتى تتحكم في دموعها ولا تجعلها تنهمر قبل أن تقول ما تريده :

- بص أنا ماكنش قصدي إن كل ده يحصل.. أنا بس كنت فاكرة إن حياتي هتبقى أحسن لو غيّرت حاجات بسيطة.. بس أنا للأسف غيّرت في حياة الناس اللي حواليا كمان.. خليت سارة تتمنى إن باباها يتجوز واحدة أد بنته بعد ما يطلّق مامتها أهون من اللي حصلها عشان مستحيل أهرب من القدر، أنا اللي عملت كل ده.. يوسف.. أنا الشخص المختار

جحظت عينا يوسف ثم قال :

- لا ثواني إنتي بتقولي إيه؟!

كمان أنا لو عملت اللي اطلب مني العالم ده هينتهي وكلنا هنرجع حياتنا العادية ومش هيكون فيه حد مضطر إنه يعمل المطلوب منه

لم ينطق بكلمه فأكملت:

- فاكر يوم عيد ميلادي اللي فات لما لقتني في الشارع.. ده كان أول يوم ليا.. سألتك وقتها أسئلة غريبة وأنت افتكرتني بهزر بس أنا فعلا

ماكونتش عارفة أنا فين أو إيه اللي حصل ومن أول يوم وأنا فاكرة كل حاجة في حياتي القديمة مش زيكوا

- إنتي بتقولي إنك غيرتي في حياتنا.. يعني إنتي اللي خلتيني أنا وندى نتجوز وبعدين ندى تسيبني وتروح لعمرو

ردّت عليه مسرعة:

- لا والله لا صدقني.. أنا كنت عايزاك تبقى مبسوط أنا بس كنت عايزاك أنت وندى تتجوزوا عشان أنت كنت بتحبها وماكونتش أعرف أنها هتروح لعمرو، كل حاجة أتمنتها ماكملتش بترجع زي الأول تاني بس أوحش، صدقني أنا ماكونتش عايزة كل ده يحصل
- إنتي عارفة إن ندى لما تسبني في الأول قبل ما يحصل جواز أهون بكتير من اللي حصلي ده
- والله ماكونتش عايزة...

قاطعها قبل أن تكمل كلامها، وكان يبدو أنه يخفي غضبًا كبيرًا بداخله:

- اطلعي برة يا إلينا،
- يوسف.. والنبي ماتعملش كده أنا ندمانة والله
- إنتي واخدة بالك إنك المسؤولة عن كل ده صح؟ إنتي مجبرة إنك تعملي اللي طلبوه منك ومفيش أي حد يضحي عشان إنتي السبب في كل اللي إحنا فيه ده

قالت بعد ما فقدت التحكم في انهمار دموعها:

- مش هأقدر..
- مش هاتقدري... امشي عشان مازعلكيش أكتر من كده

- والله مش هأقدر عشان بحب...

قاطعها للمرة الثانية ولكن في هذه المرة كان يبدو عليه الغضب الذي كان يخفيه وقال:

- بقولك اطلعي بره مش عايز أسمع ولا كلمة منك خلاص.

قام وفتح الباب، فنظرت له نظرة تدل على عجزها ثم قامت هي الأخرى ودموعها تنهمر على خديها، وخرجت فلم يتردد يوسف في غلق الباب في الحال، أحسّت حينها أنها وحيدة بالفعل فما شعرت به سابقًا لم يكن وحدة أبداً.

مرت عدة أيام كانت متشابهة بالنسبة لإلينا،غدت تفكر كل يوم بآخر محادثة لها مع يوسف وماذا ستفعل لكي تتخلص من هذه الحالة الصاعدة التي وصلت إليها فلولا أن أحمد كان بجوارها لكانت ماتت من تفكيرها فلم تجد غيره ملتحدًا لها وفي هذه الفترة حكت له كل ما حلّ بها منذ أن أتت إلى هذا العالم الممسوخ، ولكن نقضت من كلامها بأنها الشخص المختار ورواية قتلها ليوسف ليس لأنها لا تجده شخصًا موثوقًا فيه بل لم تكن تريد أن تُظهر ما بها من قُبح أمامه ففضلت أن تبقى الفتاة المثالية كما يراها، لم تعرف لماذا أرادت ذلك ففي العادة لا تثق في أحد أو تحمل عبء صورتها في عين غيرها فهي لم تدرك بعد ما تشعر به اتجاهه.

ومن ناحية أحمد كان يشعر بأنه مسلسل فلا يعرف كيف يجعلها في حال أفضل فقرر الذهاب ليوسف؛ لإقناعه بمصالحة إلينا على الرغم من أنه لا يعرف ما حدث بالتحديد بينهما أو ماذا تكلما في ذلك اليوم؟

اتفق أحمد مع يوسف أن يترك إلينا في البيت ليتسنى له التحدث معها، فبعد أن غادر البيت طُرق الباب فاستيقظت لتفتح لتجد يوسف أمامها،

تجمدت في مكانها فلم تكن تتوقع أن تراه ينظر لوجهها مرة أخرى، دخل وجلس على أحد السريرين ولازال نفس التعبير على وجهها لم يتغير ثم قالت وهي تجلس بجواره :

- يوسف..

قال بنبرته الهادئة :

- مش معنى الكلام اللي هأقوله دلوقتي إنك مش غلطانة، لا إنتي غلطانة جدًّا كمان؛ لأن مفيش حد طلب منك إنك تغيري له حياته أو تشوفي له إيه الأحسن من وجهة نظرك وكمان غلطانة عشان طول عمرك كنتي بتشوفي الوحش بس عمرك ما بصيتي على الحلو أبدًا

كانت تنظر له وكلها آذان صاغية فأردف:

- ناس كتير بيتمنوا حياتك وباباكي ومامتك أي حاجة عملوها كانت عشانك بس إنتي شوفتيها بنظرك المحدود أنها تحكم فيكي.. إنتي دمرتيني وتعبت أكتر لما افتكرت وعرفت أن أنا عشت نفس الحاجة مرتين بس المرة دي أصعب.. بس أنا كمان غلطان عشان اتعصبت ورفضت أسمعك مع إني المفروض أقف جمبك عشان عارفك كويس وعارف إنك عملتي كده عشان بتحبيني.. أنا آسف

انحصرت في عينيها الدموع في محاولة عدم انهمارها وقالت :

- أنا كمان آسفة عشان كل الكلام اللي قلته صح.. وحاسة إني مش قادرة أصلح اللي حصل.. مش هأقدر أبدًا أعمل المطلوب مني ومتسألنيش ليه؟ حاول بس تفهمني!

- إنتي عارفة إنك لو معملتيش الحاجة دي عمرنا كلنا ما هنرجع.. يعني حتى لو أنا كيوسف عملت اللي اطلب مني هفضل متعلق
- مش فاهمة
- آه يبقى إنتي متعرفيش آخر الأخبار

نظرت له في تأهب وسكون، فأردف :

- الناس هنا لما راحوا يسألوا عن الحاجات اللي عايزيين يعرفوها جمعوا شوية معلومات تفيدنا كلنا.. مثلًا أن الشخص المختار هو بس اللي لو نفذ المطلوب منه العالم ده كله هيختفي تمامًا وهنرجع كلنا حياتنا القديمة ومفيش حد فينا هيكون فاكر كل اللي حصل هنا.. يعني وكأنه لم يكن
- يعني مش هاستفاد حاجة.. هأرجع تاني إلينا اللي مش بتحب حياتها وكارهة كل حاجة
- بالظبط.. ده غير أن أي حد اتعرفنا عليه هنا مش هنكون فاكرينه برضو.. ولو أي حد غيرك نفذ المطلوب منه آه هيختفي من هنا بس مش هيرجع حياته القديمة يعني للأسف كل حاجة متوقفة عليكي إنتي

أغمضت عينيها لتبتلع ما سمعته ثم أردف يوسف قائلًا :

- الانتحار بقى مُباح بس ده لينا بس مش ليكي.. أفتكرت لما سمعت كده أن خلاص كل مشاكلي هتنتهي لو انتحرت بس ماقدرتش.. الموضوع صعب.. أغلبنا مش بينتحر مش عشان بس حرام أو هيصعب عليه الناس اللي بتحبه لا إحنا أضعف وأجبن من كده بكتير ومهما قابلنا حاجات تكرهنا في عشيتنا برضو هنفضل متمسكين بحايتنا

لم تنطق إلينا بكلمة فكانت مستمرة في سماعه في صمت، فأردف :

- وسمعت شوية حاجات من اللي طلبوها من الناس فأنا متوقع اللي مطلوب منك حاجة سيئة جدًّا
- وأنت مطلوب منك إيه؟
- أنتحر.
- إيه!
- حاولت بس معرفتش، عايزني أموت نفسي غرقان، أذكية أو عارفينا كويس
- قصدك هما طلبوا غرقان بالذات عشان عارفين إنك كنت هتغرق وأنت صغير ومن ساعتها وأنت متعقد
- وكمان أغلب كوابيسي أني بموت غرقان.. تخيلي بقى كمان أعمل كده بإرادتي.. مستحيل طبعًا

وضع يده على كتفها وقال لها وهو ينظر لعينيها :

- إلينا.. أنا موجود دايمًا وهسمعك لما تعوزي تتكلمي.. وأيًا كانت الحاجة اللي مطلوبة منك هأحاول أساعدك على قد ما أقدر

فضّلت السكوت فهي لا تعرف إذا تكلمت ماذا عساها أن تقول له فأردف :

- يلا فكك من كل الكلام ده بقى واحكيلي بقى من الأول

جلسا لتحكي له إلينا ما مرت به من البداية منذ أن كانت في حفلة المدرسة حتى هذه اللحظة ولكنها تخطت ما سمعته في هذا المبنى الملعون حين

ذهب معها فحرصت على أن لا تذكر ما حدث يومها، وأثناء حديثها غير المنتهي قاطعها يوسف وقال :

- إنتي وقعتي ولا إيه
- وقعت إزاي
- حبيتي أحمد

تغيرت تعابير وجهها وكأنها تعرضت لصدمة واحمرّت وجنتاها وهي تقول:

- إيه!! لا طبعًا.. لا لا

سكت يوسف ونظر لإلينا نظرة استنكار لما تقوله، وبدا عليه أنه لا يصدق كلمة من الذي تقوله، فقالت:

- إيه.. بتبصلي كده ليه

أخذ يقلد صوت إلينا قائلًا :

- أصلك بقالك ساعة أحمد عمل أحمد سوّى أحمد ده حد جميل.. وفي الآخر لا طبعًا.. أهو ده بقى معناه إنك واقعة أكتر اللي هو بتتكلمي عليه كتير جدًّا من غير ما تحسي
- بجد مفيش حاجة مابينا بس بقى وهو ماقالش حاجة
- هو ماقلش حاجة بس هو ما شاء الله واقع أكتر منك

ارتسمت ابتسامة عريضة على شفتيها وقالت وهي تضغط على أناملها بيدها الأخرى:

- بجد والله

- لا واضح إن مفيش حاجة.. عامةً أنا كنت عايز أقولك أن هو فعلًا إنسان كويس فلو بتحبيه دي حاجة تفرحني

ابتسمت إلينا ابتسامة خفيفة وحنت رأسها لأسفل فأردف:

- على الأقل يثبت أن اختياراتك مش كلها زبالة زيي.. ده محمد ده كان أعوذ بالله

- فصلتني بجد.. محمد إيه دلوقتي بس

خرجت إلينا في هذا الليل ولم تكن تدري لماذا؟، أخذت تسير في فجاج كاحل لم تره من قبل، سارت طويلًا حتى ظنت بأنه ليس له نهاية فشعرت بالخوف آتٍ إليها مبطئًا وما إن رأته واقفًا بعيدًا لا يظهر منه إلا ظلًا وكأنه غطي بالضباب تمكن منها الخوف وبرق بصرها ووقفت في مكانها، كان رجلًا لا تظهر ملامحه فقط هيئته وكأنه ظل واقفًا على الأرض ليس له أساس ذو بنيه قوية، ثباته على الأرض يوحي بأنه لن يتحرك حتى لو هبت عاصفة، أخذت تسير باتجاهه وكأنها لا تهاب شيئًا على الرغم من أنها كانت تشعر بأنها ستصاب بالإغماء من شدة الخوف، أصبحت قريبة منه ولكن مازالت ملامحه مبهمة فكان وجهه مظلم على الرغم من أن ملابسه كانت ظاهرة، ملابس سوداء تليق بهذا الليل الحالك، كان يقف هذا الشخص وخلفه باب لقصر كبير يدل بابه الفارع على إنه شاهق الارتفاع، ثم قال بصوت يلوح في الأرجاء وكأنه مُكَبر:

- هل تعلمين من أنا؟

ارتعدت أوصال إلينا وأصاب جسدها الجمود وبرق بصرها من هول الصوت والمنظر، ثم أردف يقول :

- أنا لست بغريب إذا رأيتني لا تعرفيني ولست بقريب ما إن بحثتي عني تجديني، أنا الأسمى بينكم فما تقترفونه أنا بريء منه، لا تبحثي عني فأنا موجود أيان وأينما ذهبتِ،

ثم أخرج ظرفًا أبيض كان ظاهرًا بوضوح من شدة الظلمة، أمسكه بيده ومدها للأمام ثم تركه فطار من فعل الرياح ووصل ليد إلينا، ما إن أمسكته حتى وجدت أن هذا الشخص اختفى وكذلك القصر الذي كان خلفه ثم فتحت الظرف ورفعت الورقة وأخذت تقرؤها، وأثناء قراءتها لها كان يحدث ما تقرأه في نفس الوقت .

أفتح عيني فيتحول المنظر فأرى الشمس من بعيد تشع، فتنير المكان كله الذي يسقط على الأرض الخضراء ممثلة الحياة وتشق الطيور طريقها من بين الأرض الخضراء والشمس وتقطع النور المنبث فيظهر ظلها واضحًا فوق ما يقابلها من الأرض مصدرة صوتًا متناغمًا مع صوت الهواء المنتشر منسجمًا مع ما يحركه من الزرع المنثور على الأرض

أغمض عيني فيظلم المكان وأشعر بلهيب قريب مني فأفتح عيني فأرى كل شيء يتساقط، يتدمر بنار تصدر صوتًا مخيفًا منذرًا بالتدمير يختلط بأصوات سقوط المباني المتراصة أمامي طويلة وكأنها تصطدم بالنجوم وضوء القمر خفيف يستحي من الظهور بالكاد أرى المكان الذي حولي ولكنه مظلم..

فأعتقد أني فهمت فأغمض عيني مرة أخرى فتتوقف الأصوات لا بل تنعدم فأفتح عيني فأرى أني في مكان خالي من أي شيء على مرمى البصر يقتله الهدوء التام فأحاول أن أصدر أصواتًا بنفسي؛ لأن السكوت يرعبني فلا يظهر لي أي صوت.. أجتهد وأجتهد ولكن بلا جدوى.

فتحت عيناها وقامت لتجلس على السرير وهي تتصبب عرقًا، أخذت قليلًا من الوقت حتى تتمكن من الاستيعاب بأنها لازالت على سريرها في هذا البيت المتهالك ولم تبرح من مكانها وأن فقط هناك حلمًا غريبًا قد راودها لا يظهر بصورة مكتملة في عقلها، فكل ما تتذكره وجود شخص غريب ملامحه مفقودة كان يتكلم كلام لا تتذكره ثم أعطاها ظرفًا كالأظرف التي اعتادت أن تتلقاها من شخص مجهول، لم تتذكر ما كُتب فيه ولكن حين اعتصرت ذاكرتها تذكرت شكل القصر وكذلك أن الخط الذي كان في الورقة مطابقًا للخط في بقية الأظرف، لم تعرف وقتها هل هي مجرد أضغاث أحلام عابرة لا أهمية لها؟ أم هل بالفعل هذه هيئة الشخص الذي يبعث لها بالرسائل؟ وأيضًا هل لهذا القصر وجود بالفعل؟، فقررت أن تحتفظ بكل تفاصيل هذا الحلم التي تتذكرها بأن كتبتها على ورقة لعلها تنفع يومًا ما.

تملكه التوتر منتظرًا اللحظة المناسبة لسؤالها ما إن كانت عرفت ما المطلوب منها ولكن كانت مترددة خشية أن تصده أو يظهر له إنه ليس موثوقًا منه من قبلها، قرر العد لثلاثة ثم التكلم معها:

- إلينا.. إنتي عرفتي إيه المطلوب منك

توترت بعد سماعها السؤال فردّت عليه :

- اشمعنا
- عادي كنت عايز أعرف.. أنا مش ناوي أروح وأعرف إيه المطلوب مني، أكيد مش هيكون طلب بسيط.. غير أني عايز أستناكي لحد ما تمشي عشان مش عايز أسيبك لوحدك

لم تتردد إلينا كما توقع أحمد وقالت دون أن تنظر لوجهه:

- اقتل يوسف

لم يستوعب ما قالته فقال:

- مش فاهم
- وأنا صغيرة عمي قتل مراته قصادي والحكاية دي أثرت على نفسيتي ولحد دلوقتي مش قادرة اعتبرها أنها ماحصلتش.. وهما عارفين الموضوع ده وطلبوا مني أقتل يوسف بنفس الطريقة اللي شوفتها

فضحك وحين وجد أن وجهها جامد لا يبدو عليه بأنها ألقت مزحة فتوقف عن الضحك ثم قال:

- أوعي تكوني بتسرحي بيا
- عارفين عننا أكتر مما تتخيل
- أنا مش قادر أستوعب اللي قولتيه
- كمان أنا الشخص المختار.. ولو قتلت يوسف كلنا هنرجع لحياتنا الطبيعية
- إلينا أ..

قاطعته لتكمل قائلة:

- يعني مستحيل أمشي من هنا غير لما أعمل ده.. كمان لو حصل وكل اللي هنا عملوا اللي اتطلب منهم أنا هفضل هنا لوحدي

سكت ليسمعها فأخذت تشرح له دون أن ترفع وجهها عن الأرض ما حدث من البداية، لم يقاطعها بكلمة واحدة فكان يسمعها شاردًا فيما تقوله حتى انتهت فظهر خط في منتصف جبهتها وسرعان ما انهالت دموعها على الأرض دون توقف فردّ قائلاً:

- يبقى مفيش حل تاني.

رفعت رأسها ونظرت له في غضب وقالت له رافعة صوتها :

- أنت موافق عشان مش حاطط نفسك مكاني عشان يوسف مش فارق معاك ويمكن الوضع لو كان معكوس ماكونتش هتسمحلي أقولك مجرد اقتراح حتى.
- يا إلينا يوسف نفسه قالك اعملي الحاجة دي أيًا كانت إيه.
- أيوة عشان مستحيل يتخيل أن الحاجة دي أني أقتله.. وبعدين مافكرتش أني مش هعرف أعمل ده أصلا ولو حد بكرهه.
- أنا هساعدك.
- وأنت بالنسبة لك القتل عادي!
- أكيد مش عادي أنا مش قتال قتلة.. بس عارف إنه مش هيموت فأنا كده يعتبر ماقتلتوش.. ده غير أننا هنكون بنعمل حاجة كويسة عشان حياتنا ترجع زي الأول

جلست إلينا على سريرها وجهشت بالبكاء حانية رأسها الذي أمسكته بين كفيها وكأنها تريد أن تتوقف عن التفكير، فأردف أحمد وهو حزين على حالتها:

- عارف والله أنها مش حاجة سهلة
- بس يوسف عمره ما أذى أحدًا عمره ما فكر يزعل حد.. وبعد اللي عمله عمرو ده وندى آجي أنا كمان وأعمل كده حرام والله

مد يده ليلامس ذقنها لترفع رأسها وقال لها وهو ينظر في عينيها :

- أنا آسف..

فاقتربت لتضع رأسها على صدره لعلها تخمد التفكير الذي أرهقها.

كانت الشمس تتزاور في السماء سريعًا فلم تنعم بتواجد طويل في السماء في ذلك اليوم، ذهب حيثما اتفقا أن يلتقيا، حتى هذه اللحظة لا يعرف أحمد بأنه يفعل الصواب بلقائه مع يوسف أم لا، عندما وصل يوسف للمكان لم يكن أحمد ينوي أن يبدأ بمقدمات فقرر أن يقول له ما أتى من أجله من البداية، فأخبره أن قتله هو مخرجهم جميعًا لم يغضب يوسف أو يندهش بل سكت قليلًا ثم أبدى بالموافقة على قتله، لم يكن يتوقع أحمد أن تنتهي هذه المقابلة بهدوء كما بدأت فليس من الطبيعي إخبار أحد ما بأنك تنوي أن تقتله ويومئ برأسه ليعبر عن رضاه، لم تكن تلك ردة الفعل سهلة على أحمد الذي زاد عنده الشعور بالذنب وأحس بالكلام الذي قالته إلينا عنه وأنه بالفعل لا يستحق هذا فقال له:

- أنت متأكد.
- آه.. بس حاول تخليني ماتعذبش أوي.

انطلقت كلمات يوسف كالسكاكين التي اخترقت جسد أحمد لتدخل بقلبه، وأحس مرة أخرى إنه من المستحيل أن يفعل ذلك، فقال له:

- أنت كده بتصعبها عليا .
- كده كده مش هموت، إحنا هنرجع كل حاجة زي ما كانت.
- سامحني.. أنا مش إنسان سيء.. أنا مابيجليش قلب أموت نملة، أنا بأقول لك بس مش عارف إزاي هعمل كده لحد دلوقتي.

خرج أحمد هائمًا على وجهه وأخذ يتجول في الشوارع لا يعرف كيف لشخص مثله أن يقبل على فعل شيئًا كهذا بدم بارد.

الفصل التاسع

اتجهت إلينا برفقة أحمد إلي المكان الذي اتفقا أن يقابلا فيه يوسف، ذاهبة في طريقها كانت تحاول تذكير عقلها بأنها بذلك لن تضره ولكنها تفعل هذا لمصلحته ومصلحة كل من هنا، طرقت الباب ففتح يوسف لهما فدخلا وجلسا في صمت منتظرين اللحظة التي يعطي يوسف ظهرها له، فبدأ أحمد بالتكلم قائلاً:

- يوسف إحنا جبنالك هدية أنا وإلينا
- هدية إيه

ثم أخرج أحمد من حقيبته قطعة من الرخام مربعة الشكل توضع لتزيين البيت، كتمت إلينا دموعها بصعوبة وفضّلت السكوت والنظر للأرض حتى لا تنهار من البكاء وتتراجع للأبد، نظر يوسف نظرة باردة لأحمد بمعنى إنه ليس الوقت المناسب أبدًا لتزيين بيت رث كهذا الآن فلم يتوقع

سبب إحضارهم لها، ثم ساد الهدوء في المكان فيوسف ينتظر الموضوع الذي ستفاتحه فيه إلينا ولكنها كانت تبدو أنها في حالة من التوتر الشديد فجسمها يتعرق ويداها ترتعشان شاردة في تفكيرها الذي أخرجها يوسف منه عندما سألها هل هي بخير أم لا فرفعت رأسها ونظرت إليه بعيون تنتظر اللحظة التي ستنطق فيها بأي شيء؛ لتنفجر وتخرج ما بها من ألم، فعاد يسألها مرة أخرى ما بها فخرجت دموعها وانهمرت دون توقف وخرجت عن سكونها:

- يوسف، أنت قولتلي قبل كده أيًا كانت الحاجة المطلوبة مني عشان نمشي من هنا أعملها صح؟
- آه قلت كده ولسه عند كلامي
- حتى لو الحاجة دي هتضرك أو تأذيك

فقال أحمد لها وهو يجحظ عينيه:

- إلينا..إنتي بتقولي إيه

فعاد يوسف ليقول لها:

- بصي.. طالما الضرر ده وقتي فمفيش مشكلة.. يعني بعد الحاجة اللي هتعمليها دي كل ده هينتهي معاها فتمام أنا معاكي في أي حاجة
- بس أنا مش هقدر أعمل فيك كده
- وأنا مش هاسألك هتعملي إيه عشان ماتراجعش.. وصدقيني أنا مسامحك بس نرجع كل حاجة زي ما كانت

ثم أمسكت يده وهي ناظرة إلى عينيه بعيون تظهر ما بها من حزن وقالت له:

- أنت عارف أني بحبك صح
- عارف

ثم نهض يوسف ليجلب ماءً لإلينا بعد أن ربت على يدها فرفع أحمد قطعة الرخام وأمسك بيد إلينا وجعلها تضمها بين كفيها وهو ممسك بكفيها أيضًا ثم دفع بيد إلينا وضرب على مؤخرة عنقه فوقع على الأرض وأخذت إلينا تصرخ وتضرب أحمد الذي كان يحاول تهدئتها ثم أحكم المسك على ذراعيها وصرخ بها قائلاً:

- إلينا اهدي.. أنا جيت هنا إمبارح وحكيت ليوسف كل حاجة وهو وافق

كفت عن دفعها له وهدأت لتقول له:

- قو.. قولتله إحنا جاينله ليه النهاردة

ترك ذراعيها ووضع يديه على كتفيها وقال لها بنبرة منخفضة:

- إلينا.. بصي دلوقتي قصادك حاجة من الاتنين يا إما تكملي المطلوب منك ونمشي كلنا من هنا وترجع حياتنا زي الأول يا إما يوسف هيموت من الضربة دي وساعتها مش هتقدري تعملي المطلوب منك وهنفضل كلنا متعلقين في المكان ده.. وافتكري كويس أن يوسف مش هيموت بجد.. مجرد لما نرجع كل حاجة مكانها هتلقيه موجود تاني.. عشان خاطر يوسف
- أنا بكره نفسي

أدارت رأسها لتنظر ليوسف الملقى على الأرض في ثُبات ثم أمسكت بالسكين بيدين مرتعشتين وجلست على ركبتيها أمامه بعينين ممتلئتين

بالدموع التي نزلت على السكين لتبللها، مر بعض الوقت ولازالت تنظر إليه متمتمة باسمه حتى اقترب منها أحمد وأخبرها بأن تغمض عينيها، فأغمضتهما ولكنها لم ترَ ما من المفترض أن تراه، فحلّ المكان الظلام الذي كان تعتريه بعض الرسوم المشوشة من إثر ما نراه من أشياء قبل أن نغمض أعيننا، صورة يوسف أمامها وهو مبتسم لها فازداد الأمر صعوبة وأصبح قيامها بذلك أمرًا مستحيلًا، ولكنها عادت لتفكر بكلام أحمد ونتائج ما ستقوم به، فضغطت على فكيها ثم أطلقت صرخة تحركت معها يدها التي تحمل السكين لتخترق جسد يوسف وأخذت تطعن بعدها عدة طعنات ودموعها تنهمر وتسري على جسده الذي أصبح غارقًا بالدماء، بعدها ألقت بالسكين بعيدًا وفتحت عينيها ببطء لتنظر حولها متفقدة المكان وأخذت تمسحه بعينيها الشاخصتين وجسدها لايزال يرتعش ثم أغمضت عينيها مرة أخرى وفتحتهما ولكن بلا جدوى فهي مازالت في بيت يوسف جالسة على ركبتيها وسط دمائه ولم يتغير شيء، التفتت لتنظر لأحمد الذي كان يبدو عليه وكأنه تعرض لصدمة وقالت له:

- أحمد.. أحمد أنا لسه هنا ليه.. أنا لسه هنا ليه.. لا مستحيل بعد كل ده يطلع كدب.. مش هقدر أعيش كده لا

تمتم أحمد قائلاً:

- يا ولاد الوسخة.
- أحمد أنا عملت إيه.. أنا إزاي ماجاش في بالي أنهم ممكن يضحكوا عليا

احتضن أحمد إلينا بين ذراعيه ليهدئها ولكنها أصبحت كالنار مشتعلة من كثرة ما تحملته فقامت بدفعه وخرجت من البيت مسرعة، لحقها حتى وصلت للمبنى المشؤوم ولكنها لأول مرة تجده خاويًا لا يوجد من يقف لينتظر دوره أو حتى أحدًا حوله فدخلت من الباب الخارجي ثم الباب الآخر وأخذت الممر كله جريًا حتى وصلت للغرفة رقم ١ ففتحت بابها بعنف حتى ارتطم بالحائط وقالت بنبرة صوت عالية تدل على غضبها الشديد:

- مامشتش من هنا لييه؟.. عملت اللي اطلب مني قولولي أنا لسه هنا لييه؟
- شخص ما قد منع هذا.
- نعم!!
- كان من المفترض خروجك بالفعل فلقد أتممتي ما طُلب منك ولكن يوجد عائق لازال عليك اجتيازه ولكن لا دخل لنا به.. فيوجد شخص ما يتحكم بالأقدار وكتب عليكي أن تبقي هنا.. يملك شيء أقوى منا، هذا الشيء كُتِبَ فيه أقدار جميع من هنا ننصحكي بإيجاد هذا الشيء وتصليح الوضع وإلا لن تغادري أبداً

كان الكلام ينزل على سمع إلينا وكأنها في حلم لطالما شعرت من اليوم الذي استيقظت فيه أنها في مجرد حلم.. حلم رسمته بيدها يمر كما ترغب ولكن تحوّل إلى كابوس قاتم يرهق نومها ولكنها لم تستطع أن تتغلب على غياهب النوم وتستيقظ منه فلقد تملكها حتى أصبح أشبه بالحقيقة التي لا تستطيع الهروب منها فقط عليها أن تواجهها.

وصلت إلينا للباب الخارجي حيث رآها أحمد الذي أسرع إليها؛ ليفهم ما حدث ولكنها كانت هائمة على وجهها تمشي كجسد انتزعت منه الروح فحتى دموعها تجمدت في عينيها فتوقفت عن الخروج، شفتاها أصبحتا يابستين وملابسها عليها بعض قطرات من الدم، توقفت لترفع رأسها إلى السماء ثم أغمضت عينيها فأصبح كل شيء مظلمًا وفقدت القدرة على المقاومة أكثر فأغشيَ عليها بين ذراعي أحمد.

كانت سارة في هذه الأثناء تتقدم بخطوات ثابتة فلا يوجد شيء يوقفها الآن مرتدية ملابسها السوداء التي اعتادت عليها من قبل وشعرها الأسود القصير الذي أصبح أقصر من ذي قبل بعد أن قصته، صعدت سلالم منزلها بوجهها الصامت حتى وصلت لسطح البيت واجتهدت حتى جلست على السور وأصبحت قدماها محلقة للخارج في الهواء وأخذت تحدث نفسها بصوت مسموع بابتسامة باردة على وجهها:

- عمري ما تخيلت نفسي ميتة موتة طبيعية.. كنت متأكدة دايما أني أنا اللي هختار هموت إزاي وإمتى، حاولت كتير انتحر قبل كده بس كنت برجع عند آخر لحظة عشان كنت بخاف ماما تزعل.. بس دلوقتي مفيش حد يزعل عليا مفيش حد يقولي ماتعمليش كده ارجعي مفيش حد يمسك إيدي ويرجعني.. لأول مرة أحس أن مش فارق معايا حد وأنا الوحيدة اللي بأملك قراري.. ومبسوطة عشان ماطلعتش جبانة حقيقي .

ثم فكت قبضة يدها لتظهر شفرة حادة أمسكتها بعناية وكشفت عن معصم يدها اليسرى وجرحته بلا تردد وأخذت تنظر لقطرات الدم المتساقطة منها حتى شعرت بالدوار فسقطت من على السطح لتنزل على الأرض بلا حركة

فأصدرت صوتًا قطع سكون المكان ولكن لم يتغير شيء ظل المكان في صمت لتختفي بعد بضعة ساعات دون أن يدري بها أحد.

كانت الساعة قد أصبحت الثانية عشرة بعد منتصف الليل فانقطع النور عن العالم هذا بأكمله فما كان يضيء الأرجاء إلا بعض النجوم المتناثرة في السماء فأصيب الناس بالدهشة وانتظروا قليلًا لعلها مشكلة وستُحل بعد بضعة دقائق ولكن مرت ساعة ساعتان وازداد الأمر سوءًا فجميع الأجهزة أصبحت لا تعمل، فلجأ الناس لإشعال النار أمام بيوتهم لتضيء المكان ولو قليلًا وكانت الشوارع تعج بأحاديث الناس لمناقشة ما حدث وبعضهم قرر التوجه للمبنى ليسأل عما يحدث ولكن وجدوا المكان مظلمًا والشاشات في جميع الغرف لا تعمل فأصبح كالمبنى المهجور كما كانوا يطلقوا عليه وفي هذه الأثناء كان قد أشعل أحمد الشموع الموجودة بالمنزل وجلس بجوار إلينا التي كانت ممددة على سريرها غير مدركة لما يحدث حولها ثم فتحت عينيها لتنظر للأرجاء مرة أخرى متمنية أن تفتح عينيها في غرفتها في منزلها وتجد والديها بجانبها ولكن هذا لم يتحقق هذه المرة أيضًا فتغلبها الإحباط وشيئا ما كان يقول بداخلها أن تنسي تمامًا العودة إلى هناك، من كثرة ما بها من حزن لمْ تسأل لِمَ الأضواء منطفئة؟ أو لمَ هي في غرفتها الآن؟ فقط فتحت عينيها وظلت صامتة.

كانت هذه الليلة هادئة حتى أُصدر صوت عالي وكأنه آت من السماء كان يشبه صوت البوق، ملأ هذا الصوت الأبدان رعبًا وأيقظت من كان غافلًا فهُرع الناس إلى الشوارع متذمرين من هذا الصوت المشؤوم الذي ملأ الأرجاء وبعد مرور عدة دقائق اختفى الصوت وظهر نور أخضر

يشبه شعاعًا خارجًا من السماء ثم بدأت تظهر جُمَلًا متتابعة ظهر معها صوت وكأنه آلة تقرأ ما يظهر في السماء كان هذا الصوت يقول:

قد حدث ما كنتم تنتظروه وقام الشخص المختار بعمل ما طُلب منه على أكمل وجه بدون نقص، فلقد قام بشيء عظيم حقًّا، ولكنه أيضًا تسبب بعدم مغادرتكم هذا العالم، فهو في يده مصيركم جميعًا فبرغم أنه كان من الضروري عودتكم ولكن هذا الشخص يملك شيئًا يعرقل سعادتكم، فنحن نعلن مغادرتنا لهذا العالم فمهمتنا قد انتهت ووجب علينا إخباركم، سنذهب وسيذهب معنا أي مساعدة كُنا نقدمها لكم، ولكن سنملي عليكم ما يجب أن تفعلوه الآن.. سنقدم لكم معلومات عن هذا الشخص ليسهل عليكم معرفته فمن ينجح منكم فليذهب ويقتله مباشرةً فما إن قتله أحدكم ستعودون جميعًا لعالمكم الحقيقي، إن هذا الشخص فتاة عشرينية ذات شعر طويل بني اللون كلون عينيها، ما طُلب منها كان قتل شخصًا عزيزًا عليها وقتلته بالفعل فلا تشفقوا عليها.. بالمناسبة ستعانون من المجاعة قريبًا فما يتوفر لكم جميعًا هو ما تبقى من منتجات في المحلات فلن نأتي بمزيد فبادروا بأخذ ما يقع أمامكم من طعام أو شراب، وداعًا.

لم يكمل هذا الصوت الآلي كلامه حتى جرى الناس جميعًا متجهين للمتاجر ينهبونها ويأخذ كل واحد منهم ما يقع أمامه من منتجات أو طعام ولو كان لا يفضله في العادة وأخذوا يملؤون الشنط البلاستيكية حتى أصبحت المنتجات أقل فبدأت المشاجرات بين الناس بالكلام أولا ثم بدأوا يعتدون على بعضهم البعض ويقومون بإيذاء بعضهم البعض

حتى أصبح الوضع مزريًا والإيذاء وصل للقتل مع عدم الاكتراث، أثناء هذه الأحداث المزرية كان أحمد بجوار إلينا يحتضنها بذراعيه واضع رأسها على صدره في محاولة لمنحها السكينة التي غابت عنها منذ مدة فكانت تحتاج لهذه الدقائق من السكون التام لتقدر على مجابهة ما يحدث حولها، وبعد بعض الوقت رفعت إلينا رأسها التي كانت تشعر أنها تتأرجح من كثرة ما يدور بداخلها ثم حكت لأحمد ما سمعته من الشاشة عندما دخلت المبنى أخيرا لأنه من الواضح أنها لا تملك وقت بعد الآن ثم قاطعها أحمد:

- أهم حاجة دلوقتي لازم نفتكرها أننا عندنا في البيت أكل يكفي تلات أيام بس فلازم نرتب أفكارنا على الأساس ده.. تاني حاجة بقى لازم تقصي شعرك دي أقل حاجة ولو تحاولي تظهري على إنك ولد ده لو اضطرينا إنك تطلعي من البيت.
- وليه كل ده.. الأحسن أني أطلع وأقول أني الشخص المختار وهتلاقي الكل مستعد يقتلني.. ده احتمال كمان يتخانقوا عليا، ونخلص ونرجع كلنا .
- بس أنا مش هسمح لحد يقرب منك.
- خلاص أنت اللي تعمل كده.. كده كده مش هموت بجد.

رفع رأسها من على صدره لينظر لها ويقول:

- إلينا.. أنا مقدرش آذيكي.. وحتى لو مش هتموتي بجد برضو لا..
- بس ماكنش ده كلامك لما قولتلك أني مطلوب مني أقتل يوسف.
- حُطي نفسك مكاني.

ردّت عليه بصوت متحشرج:

- بس أنت ماحطتش نفسك مكاني.. أنت عارف أنا بتعذب أد إيه دلوقتي.. أنا خونت يوسف أكتر بكتير من ندى وعمرو
- أنا آسف.. بس أنا ممكن أعمل أي حاجة عشانك
- وأنا بكرة نفسي عشان خايفة أتقتل مع أني أستاهل
- مش صح

ثم أمسك يدها وأردف :

- ساعديني بس عشان نخلص من المكان ده من غير خسارير.. تمام

أومأت برأسها مما يدل على موافقتها، وقررا أن يراجعا ما حدث من البداية فلم يطولوا كثيرًا حتى عرفت إلينا الجزء المجهول في حكايتها، فحتي هذه اللحظة لم تعرف من صاحب الرسائل التي تُرسل إليها وجال في بالها في تلك اللحظة أيضًا الحلم الذي راودها، فقامت على إثرها وأتت بالورقة التي سجلت فيها ما ظل برأسها من هذا الحلم ثم عاودت قرائتها أمام أحمد بصوت مسموع :

" راودني حلم غريب لا أعلم إن كان مجرد عرض لأفكار من عقلي الباطن أم أنها إشارة تريد أن توجهني لمكان ما، لا أتذكر ما حدث بالتحديد ولكني أتذكر هيئته التي ملأتني رعبًا وهو يقف أمامي حين اقتربت منه، كان وجهه مظلمًا أو أنني رأيته ولكني لا أتذكره، كان خلفه قصرًا لا يقل هيبة ورعبًا عن هيئته.. شيء ما في الحلم قال لي أن هذا قصره الذي يقطن فيه، لا أتذكر شيئًا من شكل القصر سوي أن مساحته كانت مبالغ فيها تقرب من مساحة قصر البارون، أيضًا أتذكر شكل بابه

الحديدي الكبير ولكن نقوشه لم تبقي في عقلي، قال لي كلام حينها قبل أن يعطيني الظرف لا أتذكره، كُتبت الرسالة بنفس الخط الذي كُتب به باقي الرسائل التي أعتدت أن تصلني منذ أن أتيت إلى هنا، أتذكر أن محتوي الرسالة كان يُنفذ أمامي في نفس اللحظة فحين كُتب أن المكان أُنير بأشعة الشمس فحدث هذا الفعل ولكنه أظلم بعدها كما كُتب أيضًا، وفي النهاية فقدت صوتي ثم استيقظت فزعة "

- ثواني

ثم توقفت وكأنها تبحث عن شيء مفقود في عقلها وهي بارقة البصر وأردفت :

- أنا فيه حاجة لسه فكراها دلوقتي بس ماكتبتهاش.
- إيه هي؟
- كان فيه اسم مكتوب في آخر الرسالة.
- طب فكراه.

أخذت تحك بأصابع يدها اليمني جبينها وكأنها تجبر عقلها على التذكر، ثم توقفت فجأة وقالت :

E -

- مش فاهم
- أنا فاكرة أول حرف من الاسم كان اي.. بس زي ما يكون باقي الاسم كان مشطوب عليه مش قادرة أجيبه

قامت بعدها إلينا لتتجول في البيت ممسكة بالورقة تحاول تذكر الكلام الذي كُتب في الرسائل التي أعتادت أن تصلها في بيتها الذي تم حرقه،

ولكنها لم تجد شيئًا يساعدها للوصول إلى ما تريد وكان يوجد شعور بداخلها بأن هذا الحلم له علاقة برحيلها من هذا العالم المشئوم، فقاطعها أحمد ليقول لها:

- إلينا معلش ممكن تفكريني بآخر يوم ليكي قبل ما تيجي هنا أو عايز أعرف إنتي أتمنيتي قولتي إيه بالظبط؟
- أتمنيت أن حياتي تبقي حلوة زي ما أنا كاتبة في الدايرييز بتاعتي.
- لا ثواني.. إنتي قصدك الدايريز اللي بتكتبيها كل يوم عادي.. بس مش المفروض دي بتكتبي فيها اللي بيحصل في يومك.
- لا لا.. أنا عندي دايرييز عادية آه بس عندي مفكرة تانية بكتب فيها أحداث بتحصلي في يومي بس بالشكل اللي أنا عايزاه.

مرت في هذه اللحظة كل ما عاشته إلينا منذ أن جاءت إلى هذا العالم وتيقنت أن أدق تفاصيل هذا المكان صُنعت بقلمها الذي خطت به، ولكن الأمور لم تسْرِ كما أرادت، فتذكرت أنها لم تقل أن ينتشر القتل ويتجول القاتل بسلام ولكنها كتبت أن يفعل الكل ما يحلو لهم ونسيت أننا البشر إذ امتلكنا حريتنا كاملة أفسدنا كل شيء، فكانت أمنيتها تشبهها طائشة فكانت من المفترض أن تعلم أن القدر ليس موجودًا لنغيره كما يحلو لنا فإنه ملك للخالق الذي لم ولن يرضى بعبده سوءًا ويجعله يواجه السئ بدلًا من مصائر أسوء شائنة، إن الإنسان لظلوم جهول يملك اختياره ولكنه لا يحسنه أبدًا فهو لطالما كان ظالمًا لنفسه ولو خيروه ألف مرة سيختار ما يجهله، يعيش هكذا ثم يموت هكذا أيضًا فنحن البشر نَدّعي دائمًا معرفتنا بكل شيء ولا نتحمل أن نقول حقيقة أننا جهلاء.

١ مايو ٢٠١٧

كان يومًا مشمسًا تعدو فيه رياح خفيفة بين الحين والآخر تغزو فيها الأتربة الأرجاء، كانت إلينا جالسة في غرفتها تنتظر أن يتذكر أحد ما هذا اليوم ولكن لم تكن تنتظر بأمل فهي قد تعودت على معاملتها كشيء لم يكن، حتى دُقَ جرس الباب، دخل وبيده شيئًا ملفوفًا بورق زهري اللون مطبوعًا عليه لوحة لحديقة، فكان هناك مساحة من العشب ليست صغيرة مزروع فيها بعناية زهور معمرة كزهرة الزعفران بلونها البنفسجي يجاورها زهور الزنبق الحمراء التي تشير للحب وكان الأبيض منها موجود أيضًا مستند على دعامات حتى لا تضعف أو تنكسر بفعل الرياح يتتابعها زهور أدونيس أمور الصفراء وكذلك زهور النرجس البرتقالية، وكانت هناك زهور البنفسج تملأ الحاويات الخاصة بالأزهار تضفي لونًا رائعًا على المكان بشكل خاص بسبب وقوع أشعة الشمس عليها فأعطت لمعانًا، كانت جميع الزهور مشكلة على شكل شرائط طولية بجوار بعضها تعطي بهجة للمكان بشكل خاص بسبب تناغم ألوانها الزاهية، جلس يوسف بعد أن رحب به والد إلينا وجلسا ليتكلما عن والده المتوفي وكم كان شخصًا محبوبًا وأنه كان من الأطباء الأكفاء الذين يأمنوا بأن مهنتهم مهنة سامية وأنهم خلقوا لمساعدة الناس وليس لنهب أموالهم كما يفعل البعض، فأخذ والد إلينا يشيد بيوسف وأنه أحسن التصرف حين قرر تكملة مسيرة والده وتخرجه من كلية الطب بعد أن كان حلمه أن يكون مهندسًا ولكنه فضل أن يدخل الطب تكريمًا لوالده

ورغبته الشديدة في ذلك قبل أن يواتيه الموت، كان يصطنع يوسف طوال الوقت البهجة وأنه سعيد بهذا القرار ولكن على العكس فمنذ أن بدأ يرتاد هذه الكلية وهو يشعر بالندم ولكنه صبر حتى ينفذ ما قاله فقط، مرت نصف ساعة منذ مجيء يوسف وإلينا لاتزال في غرفتها حتى سمعت صوت والدها يناديها لتلقي التحية على يوسف، نزلت بوجه بارد حتى رأت هذا الشيء بجواره فأسرعت متسائلة ما هذا فابتسم لها وقال إنه لن ينسى هدية عيد ميلادها بالتأكيد فارتسمت ابتسامة عريضة على وجهها وجلست لتفتح الهدية بلهفة حتى ظهرت، كانت عبارة عن كشكول يوميات ولكنه كان كبير الحجم وكأنه مجلد فارغ كان شكله كشكل ورق الهدايا الذي كان ملفوفًا به، سعدت إلينا به كثيرًا على الرغم من أنها كانت ليست بحاجة لدفتر يوميات فهي تملك واحدًا بالفعل، ففكرت أن تجعله لغرض آخر ولكن لم تقرر بعد ما هو هذا الغرض.

مرت الأيام ولازال الدفتر فارغًا تمامًا حتى جاء يوم وجلست سارة أمام إلينا باكيةً بسبب حياتها الظالمة التي لا تنعم فيها بأي شيء وأخذت تحكي لها كم أن والدها شخص حقير ولا يستحق أن يطلق عليه أبًا فهو أناني لا يرى أهمية إلا لرغباته المريضة، وبعد أن تشبعت إلينا بأحاديث سارة التي جعلتها تُصاب بالركود، عرضت إلينا على والديها في مساء هذا اليوم إنه إذا حصلت على درجات مرتفعة في امتحانات آخر العام أنها تريد كلبًا ليس مهمًا نوعه أو حجمه فستترك لهما الاختيار ولكن الرد من والديها كان قاسيًا بعض الشيء فهما لم يقبلا ولم يرفضا ولكنهما قالا بأن مهما كانت درجاتها فهي لن تؤثر في شيء معهما فهي فقط تؤثر عليها وعلى شكلها

أمام أصدقائها ومستقبلها فإذا أرادت أن تجعلها سيئة أو حسنة فالأمر يرجع لها فقط، انتابها البكاء في اللحظة التي سمعت فيها هذا الكلام ولكنها كتمته بداخلها وراحت تكتب في مذكراتها ما مرت وشعرت به كعادتها بدلًا من البكاء ثم أتتها فكرة جديدة؛ لتخرج ما بداخلها من ضيق وحتى لا تشغل بالها بأشياء تدمرها من الداخل وتسبب انغلاقها، أحضرت الدفتر الذي أعطاه لها يوسف كهدية لعيد ميلادها وقررت أن تكتب الحياة التي تتمنى أن تحظى بها لها ولمن حولها حتى أنها طالت أشخاصًا لا تعرفهم، بدأت تعتبر هذا الدفتر كملجأ لها وكأنها تهرب مما يضيق عليها أنفاسها بالكتابة فيه ليذهب ضيقها ويحل مكانه سعادة تغمرها لتقمصها بعناية ما تكتبه وكأنه حدث بالفعل وعندما تنتهي من سرد كلماتها وتغلق الدفتر تدرك أنها لازالت في حياتها الكئيبة التي لا طعم لها فتعرف أنها فقط كانت تمر بحلم جميل لبعض الوقت والآن استيقظت منه.

ظنت إلينا أنها خالقة بالفعل فهي ترى أنها لم تترك شيئًا إلا وكتبته، وأصبح هذا الدفتر ليس تجميلًا فقط لأحداث مرت بها وإنما أصبح عالمًا كاملًا متكامل الأركان من صنعها وظنت أنها لن تفوتها ثغرة حتى بعدما قامت بتحسين وتجميل كل شيء ولكنها نسيت أنها إنسان خطاء لم يُخلق مُسيرًا على فعل الصواب ولكنه مُخير يهوى تكرار أخطائه.

فكانت النتيجة هذا العالم الممسوخ الذي لا تقدر على تمييز معالمه مفقود القواعد فلا يرتكز على شيء، مجهول أصله فلا تعلم كيف بدأ؟ أو من أين وُجد؟، يفعل كل مَن فيه ما يحلو له، فتخيل لو أن الحياة التي نعيشها هي

الآخرة فستنتهي وينتهي كل شيء حين تموت، ويظل كل خطأ قد اقترفته معلقًا لا يُنْظَر إليه كما أن كل خير فعلته لا تجزى عليه، ويغدو العالم ظالمًا يترك من يفعل الخطأ حرًّا فيراه من تردد في فعل الخطأ فيزول تردده ويُقبْل على فعله.

بعدما انتهت من قصّ هذه الحكاية على أحمد الذي جلس يتطرق الكلام إلى مسمعيه حتى انفضت منه فقال:

- طب وليه كل حاجة اتغيرت؟
- مش عارفة.. أنا ماكتبتش أن كل ده يحصل.
- هي المفكرة دي أكيد مش معاكي .
- أكيد.

جال في عقل أحمد أن هذه المفكرة كانت المفتاح للخروج فهي لغز غريب، فإذا كان ما في المفكرة تحقق، لماذا يفسد كل شيء ويحل محله أشياء أخرى لم تُكتب؟، وماذا لو كان معهم المفكرة الآن هل يصلح كتابة شيئًا ما يستطيع أن يخرجهم من هنا؟، وأثناء تفكيرهم في الأمر طُرق الباب وكان كالعادة متروك ظرف به رسالة أمام الباب من الخارج تقول :

قد أكون وصلت لنقطة غامضة الآن بعد هذا الصراع المرير مع الحياة مع من حولي ومع أي شيء حاول تشكيكي في معرفة نفسي- أو تضليلي عن الوصول إليها، وها أنا هنا بكامل رغبتي أقف في مكان مجهول لا أعرف كيف أتيت إليه أو كيف سأغادر منه، فقط واقفة أتأمل انهيار إيمانى بنفسي وماضى أصبح سراباً وخراباً يشنقني..

فقط شيء واحد هو القادر على خروجي من هذه البقعة الحالكة وهو... أنا

نعم أنا فقط من أستطيع أن أرمم نفسى وأزيح ذلك الظلام وأبني طريق أعبر منه لأكمل ما صنعته سابقا لكن..

لا أريد!

عقلي يقنعني أن طاقتى استنفذت لدرجة أنني فقدت التحكم في جسدي وتحريكه

فأنا سقطت على أرض تجذبني إليها بكل قوتها

أكره حالتي هذه وأشفق على وضعي وتأكدت أن محاولات تدميري أتت نتيجتها بعد المدى البعيد

و لكنها في النهاية أتت..

Edgar

الفصل العاشر

من الممكن أن نعيش حياتنا للبحث عن شيء ما ونحن نعرف من داخلنا أننا نريده حقًّا ولكن حين يصبح أمامنا يتغير شيئًا ما بداخلنا ونصبح مشوشين ويختلط علينا الأمر فلا نعلم حينها هل هذا ما أردناه بالفعل أم أن حياتنا هي التي جرفتنا إليه، فنحن نعيش حرب مع أنفسنا طوال الوقت نحاول فيها إبطال ما بداخلنا من ظلام وفعل الخير أو ما نراه خيرًا باختلاف أفكارنا ولكننا لا نعيش تلك الحرب لأننا جيدون ولكنا نريد الجزاء ورغم ذلك نفعل الكثير من السوء في أقبح صوره وإن لم يكن هناك مقابل فسنظهر بصورتنا الحقيقية وسنعرف حينها أن الظلام الذي بداخلنا لم يُبْطَلْ وأننا كنا نوهم أنفسنا بأننا ناجحون في القضاء عليه في تلك المعركة.

بعد أن قرأت إلينا تلك الورقة على مصباح الجاز أحسّت أنها تريد أن تخطو خطوة ولكن للخلف وأنتابها التردد والخوف ولو كانت اعتبرت كل الرسائل التي أُرسلت لها تطابقت على ما حدث لها مجرد صدفة فإنها الآن تأكدت بأنها مراقبة من قبل هذا الشخص صاحب الوجه المجهول الذي يدعى ايدجر، فشعرت بخطورة الأمر وأن هذا الشخص ليس طبيعيًا فهناك غرابة به.

قضت تلك الليلة تفكر من أين ستبدأ؟ فهي لا تعرف الشارع الذي كانت تسلكه في الحلم ويقع به القصر ولا تعلم كيف ستجده.

في صباح اليوم التالي كان الجو شديد الحرارة فأشعة الشمس كانت فاردة أذرعها على الأرض بأكملها معلنة عن طقسٍ قاسي في هذا اليوم، استيقظت إلينا من شدة الحرارة فكان جسدها يتصبب عرقًا فقامت لغسل وجهها لعلها تطرد قليلًا من تلك الحرارة عنها فوجدت أن الماء لم يسلم من هذا الجو الغابر وأصبح كالماء المغلي فاضطرت أن تبدل ملابسها ثم فتحت باب البيت فلفحها هبو ساخن من الخارج فأغلقت الباب سريعًا على أثرها وعرفت أنها لن يتسنى لها الخروج للبحث عن ذلك القصر.

مرت عدة ساعات ولازالت حرارة الجو كما هي والشوارع خالية من البشر وإذا ألقيت بنظرك بعيدًا ستبدو الأرض لك وكأنها تتحرك كما يحدث في الصحارى.

حين غابت الشمس أخذت معها الهواء الساخن الذي كان يجول في الأرجاء وبُدِلَ بنسمة خفيفة، حينها خرجا من البيت لا يعرفا إلى أين

يجب أن يذهبا، وبعد أن سارا طويلًا توقفت إلينا فجأة لتنظر حولها لتجد نفسها بالشارع الذي رأته من قبل فطلبت من أحمد أن ينتظرها وستكمل هي لعلها ترى هذا القصر، سارت إلينا بنفس الخطى التي مشت بها من قبل ولكنها توقفت فجأة لترى ضباباً يمر من أمامها وكأنه يعبر من منتصف الشارع ولكنها لا تتذكر أنها رأت هذا المشهد في حلمها، وما إن مرّ هذا الضباب ظهر من خلفه باب حديدي كبير لقصر كبير يدل بابه على إنه شاهق الارتفاع.

تقدمت حتى أصبحت واقفة أمام قصر ضخم له باب معدني كبير يدل على عظمة المكان حين رأته تذكرت القصر الذي رأته في حلمها وكان واقفًا أمامه الرجل بالرداء الأسود الذي عرفت الآن إنه يدعى ايدجر، لم يختلف باب القصر شيئًا عن ما رأته في حلمها ووجدت رجلين يقفان على طرفيه في ثبات لا يتبين لها وجهيهما وعندما اقتربت من الباب انفتح من تلقاء نفسه ودخلت لتجد حديقة القصر مظلمة فظنت أنه بفعل سوء الإضاءة ليلًا ولكن حين نظرت رأت الحديقة بتمعن وجدتها ذابلة بالكامل فلا يوجد بها زرع حي وكذلك الأشجار كانت مجردة من أوراقها ففروعها تبدو كأنها أذرع ممتدة تزيد من بشاعة الحديقة وتظهر بشكل يملأ الأبدان رعبًا في ظلام الليل، انطلقت إلينا آخذة الطريق الرمادي الممتد داخل الحديقة متجهة لباب القصر الداخلي مسرعة وعلى أحد جانبي هذا الطريق بُني تمثال ضخم لجسم إنسان يرتدي سروالًا ويجلس القرفصاء على كرة كبيرة حولها جماجم وكان برأس ماعز غاضب فوق رأسها شعلة ويخرج من جسده جناحان كبيران وتظهر حيتان على

بطنه وكان رافع السبابة والوسطى بكلتا يديه في شكل مريب وحين رأته إلينا فزعت وتذكرت أنها رأته من قبل فهو تمثال بافوميت الذي هلل له عبدة الشيطان، كان مبنى القصر من الخارج أشد رعبًا من حديقته الموحشة فكان رمادي اللون قريبًا من الأسود، مبنى ذا نوافذ عديدة جميعها مغلقة ويبدو وكأنه تسكنه أرواحًا شريرة ومن المستحيل أن يسكنه بشر ويبدو أيضًا من الخارج اتساعه المهيب فمن المؤكد أن يحوي العديد من الغرف والقاعات.

دخلت إلينا من الباب بعد أن وجدته مفتوحًا وظهر من خلفه رجلٌ لا يتبين وجهه كالبقية وأشار لها بأن تتبعه فذهبت وراءه وصعدت السلم الداخلي للقصر لتصل للطابق الثالث وفي ذلك الوقت أدركت أن النور لم يُقطع من هذا القصر كما حدث مع بقية المباني، وكان القصر من الداخل لا يقل رهبةً عن خارجه، بعد أن وصلت للطابق الثالث سارت في ممر ولازالت تتبع ذلك الرجل تحت إضاءة خافتة بالكاد ترى موقع قدميها إذا أمعنت نظرها وفي النهاية وصلت لغرفة ذات باب خشبي كبير محفور عليه رسومات دقيقة لم تتضح شكلها في تلك الإضاءة.

بعد أن دخلت إلينا الغرفة تركها الرجل الذي كانت تتبعه وأغلق الباب وراءه، كانت الغرفة واسعة خاوية تمامًا إلا من كرسي ضخم أمامه مكتب كبير وخلف هذا الكرسي نافذة كبيرة بعرض الحائط تظهر شكل فروع الأشجار الخالية من الأوراق وكان واقفًا هناك ناظرًا للنافذة وحين انتبهت له إلينا أخذ الخوف يسري بداخل جسدها أكثر من قبل وأخذ

جسدها يرتجف ولتخففه أخذت تشد جسدها لتظهر ثابتة ولكن ازداد اضطرابها حين نادا باسمها فجأة دون أن يلتفت:

- إلينا،
- أنت.. أنت تعرفني منين؟

في تلك اللحظة أدار وجهه لها وحينها رأت وجهه بوضوح لأول مرة وتعجبت فكان شكله طبيعيًّا ولا يظهر عليه أي شيء غريب، فكان رجلًا وسيمًا ذا شعر أسود وعينين ضيقتين، فردّ قائلاً:

- أنا عارفكم كلكم وعارف كل حاجة عنكم حتى الحاجات اللي بتعملوها لما تكونوا لوحدكوا
- وعارف اللي لسه هيحصل كمان .
- ما إنتي كمان كنتي عارفة من الأول، كل حاجة كانت بتحصل إنتي اللي كنتي مرتبة لها بس بعد كده اتفاجئتي وكل حاجة خرجت عن سيطرتك.. فبدأتي تلعبي دور الضحية وإن ملكيش أي ذنب في اللي حصل، مع إنك عارفة إنك لو ماكونتيش حاولتي تغيري في المكتوب ماكنش كل ده حصل .
- يعني أنت عارف أني السبب أننا نبقى موجودين هنا وعارف برضو اللي حصل لي من أول ما جيت هنا.
- ومن قبلها كمان

ارتعد جسد إلينا أكثر وقالت بصوت متحشرج جاهدت حتى أخرجته:

- أنت مين؟

ابتسم ايدجر ابتسامة خبيثة ثم مرت عدة لحظات في سكون قبل أن تظلم عينيه تمامًا ويخرج عن صمته ويقول بصوت مرتفع واضح يبعث الرعب في الأبدان وكأنه يخرج من مكبر صوت يلج في المكان:

أنا الأسمى..

فلم يكن من المفترض وجودكم من البداية فلم تزيدوا الأرض إلا دمارًا. فعلتوا ما لم أتجرأ على فعله.. فبعضكم زعم الوجودية.

أنا لست بعاصي يرفض الطاعة فأنا لست أدين لأحد بطاعتي ولست بطائع يفعل ما فرض عليه، أنا فقط أتحمل نتائج ما أفعله .

أنا أجول حولكم هنا وهناك فأنا مطلع على ما تفعلون.

و لكني لم أجبر أحدًا قط على فعل شيء، أنا فقط مثل من يقدم نصيحة فيوجد من يسمع لما أقوله ويوجد من يتجاهلني، فلست مسؤولًا عن ذنوبكم فوحدكم من يتحملها .

و لكنكم جاحدون فتلقون اللوم على بدل من أن تواجهوا ما قمتم به.

لذلك لم أنكر نفسي عنك بل خرجت أمامك متبجحًا..

و لكن لست أنا المسؤول عما حدث، فمن خان فعل ذلك؛ لأنه لم يكن وفيًّا منذ البداية ومن قتل كان ليقتل قبل ذلك ولكن لم يكن قد وضع في الموقف الذي يجعله يفعل ذلك كما فعل الآن..

أنا من لُعنت بسببكم لذلك لن أذهب بمفردي فسأعمل دائمًا على أن أخرج ما بكم من سوء أخفيتموه ليذهب أكثركم معي.

و إذا كنت تريدي أن تعرفي ما إن ما فقدتيه معي.. فالإجابة نعم، فأنا لست جبانًا لأكذب مثلكم

كانت إلينا تتصبب عرقًا من هذا المشهد المفزع وكان جسدها متصلبًا باردًا من الخارج، وحين اختفي هذا الصوت أغمض عينيه ثم فتحها مرة أخرى لتعود كما كانت وكذلك صوته عاد كما كان من قبل ثم قال لها :

- اللي إنتي عايزاه معايا في الدرج الأول ده.

ثم أشار ناحية أدراج بداخل مكتبه ثم أردف:

- بس مش هدهولك بإيدي، لازم إنتي اللي تجيبه

قحظت عيني إلينا وعرفت أنها إذا ذهبت الآن وفتحت هذا الدرج ستجد دفترها وسيكون بإمكانها في هذا الوقت التخلص من هذا العالم ولكن جسدها لم يساعدها فوقفت وكأنه تحجر ولم تعد لديها القدرة لتحريكه أو التحكم به، فقال لها ايدجير :

- قلتلك إني موجود في كل مكان وكل وقت فلو رجعتي لحياتك القديمة ده مش هيفدني ولا يضرني في حاجة

ردّت عليه بصوت متقطع قائلة:

- وأأ أعرف منين إنك بتقول الحقيقة وأن فعلًا الدرج ده فيه اللي أنا عايزاه

- دفترك.. عشان زي ما قولتلك أنا غيركوا

وقفت إلينا تفكر بالخطوة التي ستأخذها، لا تعرف هل من المفترض أن تصدقه وتأخذ خطوتها اتجاهه أم تعود من حيث أتت، لم تكن في الوضع الذي يجعلها تفكر بالقرار الصحيح فكان عقلها في هذا الوقت ممحي وكأنه لم يعد موجودًا، التقطت أنفاسها بصعوبة بعد عناء وهمت بالاقتراب آخذه خطوتها الأولى ناحيته تليها خطوتها الأخرى حتى أصبحت أمام مكتبه تمامًا، لم تتجرأ أن ترفع عينيها على وجهه وهي

تتحرك حتى توقفت ورفعت رأسها لتنظر لوجهه فأصابها الجمود مرة أخرى فالهدوء الذي يظهر على وجهه أعطاه رهبة أحستها حين أصبح قريب منها، فمد جسده ناحيتها قليلًا فتراجعت للوراء على أثره، فابتسم ابتسامة غامضة ثم قال لها:

- طب عارفة بعد ما تاخدي اللي إنتي عايزاه هتعملي إيه.. ولا لسه مافكرتيش

ثم وضع كفه الأيمن على منضدة مكتبه وأخذ يمدها عليها ببطء محدثًا صوتًا زاد إلينا رعبًا، ثم أردف:

- شكلك بيقول لأ، زي أي حاجة بتعمليها عمرك ما حسبتي إيه اللي ممكن يحصل

تراجعت إلينا مرة أخرى للخلف، فأردف بعد أن سحب يده :

- مش يمكن بعد ما تخديه ماتعرفيش ترجعي برضو؟

لم تشعر إلينا بنفسها إلا وهي تجري ناحية الباب لتفتحه وتمر بالسلم في القصر المظلم وكأنها سمعت ما أرادت أن تسمعه لتكون على حق بتراجعها بعد أن أخذت ما قاله ايدجر كحجة لها، وصلت للباب الخارجي للقصر وفتحته بنفسها فمنذ أن خرجت من الغرفة وهي لم تجد أحدًا لا في القصر ولا على بابه من الخارج، أخذت تعدو في الشارع بكل سرعتها حتى رأت أحمد واقف مكانه لم يبرح منه، فتوقفت حين رأته لتأخذ نفسها بصعوبة، فقال لها وكان يبدو عليه القلق:

- إنتي كنتي بتجري ليه؟.. إنتي كويسة؟

فأشارت له بنعم برأسها، فنظر ليديها فوجدهما فارغتين وقال:

- ماطلعش هو ولا إيه
- هحكيلك في الطريق

و في الطريق قصت عليه بعض ما حدث فلم تذكر له ما قاله ايدجر فقط بأنها عرفت بأنه معه دفترها وهو صاحب الرسائل التي كانت تصل إليها، فردّ عليها:

- وماسألتهوش هو ليه كان بيعمل كده أو ليه كان معاه الدفتر بتاعك ولا هو مين.. أنا مش فاهم حاجة
- ما هو كل الكلام ده مش مهم.. المهم دلوقتي أننا ناخد الدفتر ده

أمسك بذراعها ليوقفها ناظرًا إليها وقال:

- ثواني.. هو مش عايز يديهولك
- لا ده هو كمان قالي خديه
- إيه!!
- أحمد أنت ماكونتش مكاني بجد أنا كنت خايفة أوي.. لو كنت مكاني كنت هتفهم قصدي إيه
- طيب نعدي عليه بكرة ناخده أنا وإنتي
- نعدي عليه!.. هو أنت فاكره كشك مابيقفلش
- أمال مش هناخده يعني.. مش فاااهم
- أنا مش هينفع أروح هناك وايدجر ده موجود، إحنا لازم نعمل بلان ونروح ونخده من غير ما يعرف

ما إن وصلت إلينا للبيت وفتحت الباب وجدت هذا الظرف المشؤوم يرقد على الأرض نظرت له مستعدة لما ستقرأه من كلمات ستخنقها،

رفعته من على الأرض وأغمضت عينيها آخذة نفسًا عميقًا ثم فتحت عينها وفتحته ورفعت الورقة التي بداخله أمامها وأخذت تقرؤها بصوت مسموع:

ها أنا هنا أتأمل ما حولي فلا أجِد شيئا، أدقق النظر لعلي لم أرَ جيدا ولكن بلا جدوى

هل انعدمت أم أصبحت مبهمة أم هي لم تكن موجودة من البداية؟

لا لم تكن موجودة يوما قط..

فأنا لا أملك أي شيء.. أقف وحدي بالكاد يوجد فقط أرض ترفع قدمي جسدي محني من الإنهاك لا يوجد ما أتكأ عليه..

أنا لست حزينة لأني لا أملك شيئا ولا سعيدة أنا فقط؛ تائهة، غائبة، ليس لي ذكرى

كل من تظاهروا بأنهم لن يتركوني ها هم نسوني

ما كنت أملكه كان ليس لي

من تبقى؟.. لا أحد

أشعر بأن الظلام الدائم آت..

أصبحت لا أري نفسي حتى

المكان يتقلص.. أصبح ضيق جدا.

هل هذا ما عشت من أجله؟!!

هل حياتي إلى هذا الحد فقط؟

نعم إنها نهايتي التي طالما تظاهرت أنها ليست الآن

نهاية هادئة بلا معنى..

ما إن انتهت من القراءة حتى مزقت الورقة بطريقة هستيرية تجعل من يراها يحسب أن شيئًا قد أصاب عقلها، وبعد أن انتهت من تمزيقها وأصبحت متناثرة على الأرض قالت :

- لا كلامك مش هيتحقق المرة دي يا ايدجير .

ثم صرخت قائلة :

- سامعني.. مش هيحصل.. هعمل كل اللي أقدر عليه عشان ماحققوش

في اليوم التالي..

كان صباح هذا اليوم يبدو كأي يوم آخر، فالشمس تنير الأرض بآشعتها البيضاء خالقة ظلال في كل مكان ودرجة الحرارة كانت مرتفعة عن صباح أمس، وتمر نسمة في الهواء بين الحين والآخر لتخفف من حرارة الجو، ولكن لم تكن حالة ساكني هذا العالم مثلما كانت قبل، فبدأ منهم من يبحث عن الشخص المختار ومنهم ما عُرف بطيبته ومعاملته الحسنة مع الآخرين ولكنه اليوم أظهر وجهًا لم يعتاده سابقًا فأخذ يعذب من يشك في إنه الشخص المختار لعله يعترف بذلك فأصبح وكأنه تحول لشخص سادي لا ينظر إلا لمصلحته، وكان يوجد الأسوء الذي يقتل كل من يشك فيه دون تردد، وبدأ آخرون بتنفيذ ما طُلب منهم بدم بارد ونسوا أنهم قالوا لأنفسهم بأنه من المستحيل أن يقوموا بمثل تلك الأمور وأنهم ليسوا وحوشًا، ولكنها طبيعتنا فنحن لا نظهر ما بداخلنا إلا عندما نوضع في الموقف المناسب ولطالما وجدت فئة في أي مكان في العالم مهما شوهته الحروب أو تفشت فيه المجاعات لا يشعر بشيء مما حوله، وكأنه يعيش

مستقلًا غير منتمي للمكان الذي هو فيه، ففي هذا العالم لم يخلو منه بعض السكان الذين يستمرون من المكان الذي توقفوا فيه لا يسألوا عن سبب مجيئهم أو ماذا يتطلب منهم أن يفعلوا وكذلك لا يهمهم إن عرفوا من الشخص المختار أو لا، ففي الحالتين سواء.

مر هذا اليوم بسرعة ولكن ليس لإلينا التي كان يملأها الندم وأن ما يحصل في الخارج كله نتيجة لخطئها، قضت هذا اليوم هي وأحمد يرتبوا لما سيقوموا به غدًا حتى موعد غروب الشمس.

جلست إلينا متكئة الظهر على حائط الطرقة الصغير ثانية قدميها وكذلك أحمد الذي جلس قبالتها على نفس الوضع، يضرب البيت ضوء خفيف يوحي بقرب رحيل الشمس يعطي جوًا حزينًا للمكان، قالت وهي تنظر له أو ما يظهر منه في هذا الضوء:

- خلاص بكرة
- هكون معاكي متقلقيش.
- أنت عارف أننا لما نرجع مش هنكون عارفين بعض صح .

سكت أحمد في حزن فأردفت :

- وطبعًا ماينفعش نفضل هنا.

أمسك يدها برفق قائلًا :

- بس هنتقابل تاني آه مش هنكون عارفين بعض بس أنا متأكد أننا هنعرف بعض تاني.
- ولو ماحصلش.
- إنتي قدري يا إلينا.

ثم ابتسم ابتسامة خفيفة وكشفت عيناه رغبته بالبكاء وأردف:

- يمكن ماعاداش علينا حاجة حلوة في المكان ده.. إنتي بس

ثم تنهد ليمنع نفسه من البكاء وقال:

- إنتي أصلًا عجباني من قبل ما أجي هنا ودي حاجة مش هتتغير أنا متأكد أني هلاقيكي وهتعرف عليكي تاني بس أكيد هيبقى في مكان أحسن من هنا
- متأكد أننا عايزين نمشي من هنا؟
- ده مش حاجة هنختارها إحنا مجبورين

فردّت وهي تبكي :

- طب نفكر تاني
- إلينا.. مفيش وقت حتى نفكر تاني وحتى لو فكرنا هنوصل لهنا برضو

سالت دموعها لترقط على يد أحمد الممسكة بيدها فرفع يده الأخرى ليمسح دموعها ثم أرجع خصلة كانت قد انسابت من شعرها على عينها وأحتضن عنقها بكف يديه وأسند وجهه على وجهها برفق وظلا هكذا حتى غادرت الشمس آخذة معها نورها تاركة الأرض معتمة فلم يصبحا بإمكانهما رؤية بعضهما ولكن لاتزال تشعر إلينا به بجوارها تسمع أنفاسه المتتابعة فإذا نجح الليل في أن يحجب رؤيتها سيظل قلبها ينبض.

تسللا في الليل دون أن يراهما أحدًا واختبئا بجانب سور القصر في صمت ناظرين لبابه الخارجي منتظرين اللحظة المناسبة وخروج ايدجر من القصر وإن لم يخرج اليوم فغدًا فقد اتفقا على أن لا يبرحا مكانهما حتى يصلا لما يريداه، لم ينتظرا كثيرًا فسرعان ما وجدا ايدجر يخرج من الباب

مع رجاله من كانوا بداخل القصر ومن كانوا ينتظروا خارجه وانطلق بسيارته تاركًا القصر بلا أحد، شعرت إلينا ببعض الغرابة ولكن شعورها لم يجعلها تتراجع، فتقدما وتسلقا الباب الحديدي الخارجي حتى أصبحا بداخل حديقة القصر، فزع أحمد من التمثال الممسوخ الذي يتوسط الحديقة حين رآه ثم تقدما ناحية الباب الداخلي للقصر فوجداه بطبيعة الحال مغلق ولكن أحمد لاحظ أن الشباك المجاور للباب مفتوحًا فنبه إلينا له وصعدا من خلاله إلى داخل القصر بسهولة فلم يكن ارتفاعه كبيرًا، لم تكن إلينا في حالة تجعلها تفكر إن كان ما يحدث خدعة من ايدجر أم لا، فلم يكن من المنطقي خروجه بعد قليلًا من وصولهم قصره، ترك القصر بدون رجاله، و ترك الشباك مفتوحًا عمدًا، انطلقا آخذا السلم ليصعدا لغرفة ايدجر، دخلاها بدون عناء وأشعلا ضوء الغرفة، ثم أسرعت إلينا ناحية أدراج المكتب وفتحت أولهم وبالفعل وجدت دفترها، لم يكن يبدو عليه أي تغيير من الخارج ولكن حين فتحته لم تجده منتهي عند آخر صفحة كانت قد كتبت فيها ولكن هذه الصفحة تبعتها صفحات أخرى قد كتبت بخط يد ايدجر، أخذت تمر إلينا عليها سريعًا فوجدت أن كل ما حدث من تغيير على ما تمنته قد كتبه، فكان قد كتب ذهاب عمرو في الليل ليحرق البيوت وتكوين آدم لعصابة واقتحام البيوت بغير وجه حق وكذلك خيانة ندى، حتى كُتب قتل إلينا ليوسف هذه الجملة التي استوقفت إلينا وأخذت تفكر هل بالفعل ما كتبه ايدجر أثر على اتخاذ قرارها وقتلها ليوسف أم هو فقط كان يعرف أنها ستفعل ذلك، وجدت أن ايدجر بالفعل لم يكذب وأنها حين قتلته كانت في كامل عقلها ولم يكن

هناك شيئًا يؤثر عليها فعرفت في قرار نفسها أننا البشر لسنا كما نبدو أو لسنا حتى كما تُخَيل لنا أنفسنا بل نحن أسوء بكثير مما نتخيل وأن كل ما قاله ايدجر حقًّا، قطع تفكيرها صوت أحمد الذي وقف عند باب الغرفة للمراقبة وقال لها:

- إلينا إنتي بتعملي إيه عندك

نظرت له في فزع فأردف:

- يلا نمشي قبل ما حد ييجي

و ما إن انتهى أحمد من كلامه حتى سمعا صوت سيارة بالخارج فوقفت إلينا مسرعة لتنظر من شباك الغرفة فوجدت ايدجر يترجل من السيارة وأحد رجاله معه يفتح له باب القصر الخارجي فقالت لأحمد في توتر:

- ايدجر رجع تاني يا أحمد هنعمل إيه

و من فزعها اصطدمت بمنضدة المكتب فجُرح ذراعها الأيسر من تمثال صغير لرجل كان موضوع على المنضدة حاملًا سيفًا ويبدو إنه بالفعل سيفًا حقيقيًا فما إن مرت ذراعها عليه حتى جُرحت جرحًا طويلًا فأسقطت على أثره الدفتر من يدها الأخرى، لتمسك بكف يدها اليمني على مكان الجرح في ذراعها الآخر فأسرع أحمد إليها ليرى ذراعها قائلاً:

- إنتي كويسة.. وريني

فرفعت كفها الذي طُبع عليه الدماء التي سالت من الجرح فأردف :

- وجعك أوي

- مش وقته

ثم مالت لتلتقط الدفتر وتمسكه بقوة بكلتا يديها ناظرة إليه في توتر لا تعلم ما من المفترض أن تفعله الآن، فقال لها :

- أقطعيه بسرعة

فنظرت له وقالت:

- أنت بتقول إيه

- ماقودمناش حل تاني أقطعيه وفي احتمال أكيد أن كل ده ينتهي معاه

فتحت إلينا الدفتر وأمسكت بعض الصفحات لتقطعها ولكنها توقفت حين سمعت صوت الباب الداخلي للقصر يُفتح، حاولت تجاهله وشدت الأوراق ولكنها كانت أصلب مما توقعت فقللت عدد الصفحات لثلاثة ليكون من السهل قطعها ولكن بلا جدوى وكأنه ليس الورق الذي اعتادت عليه، فأمسكه أحمد منها وحاول هو الآخر قطعه ولكن لم يُقطع أيضًا، فقبل أن يفكرا في شيء آخر سمعا صوت يأتي من الطابق الأول للقصر، صوت غليظ يدوي المكان لم يكن جديدًا على إلينا، فكان صوت ايدجر يقول:

- لو كان من الممكن تغيير المستقبل فالماضي لا.. لا أحد يستطيع أن يمحي ما مضي إن حاول نسيانه، فلا يمكن أن يُبني مستقبل بدونه

وقف أحمد ليبحث عن أي شيء حاد على الطاولة فأخذ السيف وحاول تقشير الكلام بداخل الدفتر ولكن بلا جدوى وأثناء ذلك كانا يسمعا صوت خطوات ايدجر تقترب من الغرفة وكذلك صوته الذي أصبح أعلي كلما أقترب، فكان يقول:

- إن كان يوجد ما تستطيعين فعله الآن ففعلي لأنني حين أصل لن تتمكني من تغيير شيء وستظلين في هذا العالم وحيدة وستكون هذه نهايتك

أثارت هذه الكلمات غضب إلينا والتقطت قلم من على الطاولة ووضعت أمامها الدفتر ثم فتحته على آخر سطر كان قد كُتب فيه وأغمضت عينها لعلها تستطيع أن تلغي ما يحدث بداخل عقلها من تخبطات،فقال لها أحمد :

- إلينا إنتي هتعملي إيه

دخل ايدجر الغرفة في هذه اللحظة وعلى وجهه ابتسامة خبيثة قائلاً:

سأكون أينما تكونوا

ثم فتحت إلينا عينيها ونظرت لأحمد ثم قالت:

- هنمشي من هنا.. بس هستناك

ثم رفعت القلم وكتبت...

الفصل الحادي عشر

تخللت أشعة الشمس من شباك الغرفة الزجاجي الذي يأخذ عرض حائط كامل بالغرفة لتقوم الشمس بمسح الغرفة بأشعتها القوية فاستيقظت إلينا على أثرها غاضبة وقالت بصوت مسموع بغضب:

- أووف كان لازم يعني تاخدني الجلالة وأخلي الستاير تتشال

ثم أحسّت إلينا بألم في ذراعها فجاهدت لتفتح عينيها وتنظر لتجد جرح كبير في ذراعها الأيسر عليه دم متجلط حديثًا فتعجبت إلينا وأخذت تقول لنفسها :

- إزاي عورت نفسي كده وأنا نايمة

ثم نظرت حولها على السرير وأخذت تبحث عن شيء ما من الممكن أن يكون هو ما جرحها ولكنها لم تجد شيئًا فلم تكترث كثيرًا ونزلت من على سريرها لتجد أقراص الدواء المنثورة على أرضية الغرفة فتذكرت ما

حدث البارحة وتمنت إن لم تستيقظ فسيكون ذلك أفضل ثم نزلت على ركبتيها على الأرض وجمعتهم لتتخلص منهم حتى لا تتعرض لمجادلة مع والديها.

حين خرجت إلينا من الغرفة وجدت والدتها واقفة بانتظارها، فمرت بجانبها متجاهلة وجودها فنادت عليها والدتها وطلبت منها أن تجلس معها ليتكلما، فبادرت قائلة:

- مش هتعتذري
- يعني جيباني عشان أعتذر.. هو ده اللي فارق معاكي
- لا بس بعد اللي هأقوله لك ممكن إنتي تعتذري من نفسك

استمرت إلينا بسماع والدتها على مضت فأردفت :

- أنا وبابا أعدنا أتكلمنا إمبارح عشان المسابقة اللي عايزة تقدميلها

لم تنطق إلينا بكلمة فأردفت والدتها قائلة:

- واتفقنا أننا نخليكي تشتركي فيها.. ها إيه رأيك بقى
- طب وكان هيحصل إيه لو وافقتوا لما جيت كلمتكوا في الموضوع ده إمبارح
- عشان فاجئتينا بس لما فكرنا لقينا إنه ينفع تشتركي عادي

فنظرت لها نظرة ساخرة وقالت لها:

- بس أنا خلاص مابقتش عايزة
- إلينا ماتعنديش
- مش موضوع عند.. بس إنتو قفلتوني يا ماما خلاص

- ده معناه إنك ماكونتيش عايزة من الأول أصلًا وبرضو بتعندي معانا وخلاص زي موضوع الكلب اللي كونتي عايزة تربية

ارتفعت نبرة صوت إلينا وقالت:

- لا ده معناه أنكوا بتحبوا تذلوني.. بعد أذنك يا ماما هروح أفطر مع صحابي بره ولا كمان عايزة تعترضي على دي

قامت إلينا تاركة والدتها متعجبة من تصرفها الوقح.

خرجت إلى أحد المطاعم لمقابلة سارة ونور ولكن نور لم تأت لأن والدها قبل معاد التقائهم بساعة طلب منها أن تأتي معه ليزورا أحد أقربائهم الذي مرض ودخل المستشفى البارحة.

جلسا كلًا من سارة وإلينا بدون أن ينطقا بكلمة واحدة فإلينا لا تريد أن تحكي شيئًا آخر لأنها أحسّت بأن قصها لمشاكلها مع والديها المستمرة قد تصيب سارة بالملل وأيضًا سارة لا يوجد بحياتها شيئًا يدعو للابتهاج ففضلت السكوت، كانت هذه أول مرة يخرجا بمفردهما بدون أن تكون نور معهما فأحست حينها إلينا بأن نور ليست كما تظن بأنها ليست لها معني في حياتها كما تعتقد وأن لو كانت نور جالسة لحكت ما مرت به دون أن تشك بأن نور قد تتأفف من حديثها.

كان جالسًا في حديقة منزلها ينتظر قدومها مغمض العينين؛ ليستمع لصوت الطيور التي تطير في السماء وتنتقل من على أغصان الأشجار فتملأ حركتها المكان بالحيوية، وعلى الرغم من شدة حرارة الشمس إلا إنه كان مستمتعًا ولكن لم يطول جلوسه فسرعان ما أتت إلينا لتخرجه من هدوئه فأتت ناحيته وقالت :

- إيه ده أنت جاي بدري كده ليه
- إنتي جيتي بدري ليه أنا كنت عايز أقعد شوية قبل ما تيجي
- أمشي يعني؟

فابتسم قائلاً:

- لا تعالي اقعدي.. اتخانقتي مع صحابك ولا إيه
- لا أنا قلت أجي قبل ما سارة تخليني أموت نفسي من الاكتئاب اللي هي فيه وكمان نور ماجتش
- إنتي ليكي عندي خبر
- حلو ولا لأ.. عشان لو وحش ماتقولش أحسن
- أنا فيه واحدة عجباني أوي

فنظرت له بتعجب بفم مفتوح ثم قالت له :

- بتهزر

فضحك من شكل تعبير وجهها ورد عليها قائلًا :

- قولتلها وطلعت هي كمان بتكراش عليا.. بس خايف
- ليك حق تخاف.. أنا لو مكانك أترعب أصلاً.
- ياااه شكرًا مش عارف طمنتيني إزاي.

اعتدلت في جلوسها وقالت في حماس:

- بس بجد مبسوطة عشانك... اسمها إيه بقى واتعرفت عليها فين احكي لي يلا كل حاجة
- اسمها سلمى ومش هقولك حاجة تاني عشان كده كده كنت جاي أقولك أني عايز أعرفكوا على بعض.

فابتسمت ابتسامة كشفت عن أسنانها المتراصة وقالت:

- أنا مبسوطة.

- أنا مش ندمان أني عرفت ندى بالعكس أنا دلوقتي عرفت حكمة ربنا.. كنت عمري ما هتعلم ولا أعرف أني لازم مارخصش نفسي وأحب حد مابيحبنيش.. طول الوقت كنت بضحك على نفسي مع أنها كانت واضحة.. فأنا بقى اللي مبسوط دلوقتي.

ابتسمت أثناء سمعاها لكلامه ثم قالت :

- ها هتعرفنا امتى بقى على بعض؟

قبل أن يرد عليها أحسّ يوسف فجأة بألم قوي في بطنه وكأن سكينًا قد غُرزت فيه فضغط بكف يده على مكان الألم بقوة، فتنبهت له وقالت في قلق:

- يوسف أنت كويس؟

- مش عارف حسيت بشكة فجأة.. بس راحت خلاص

ثم وقع نظره على الجرح الذي في ذراعها الأيسر فسألها على أثرها مشيرًا له :

- إيه ده؟

فنظرت للجرح وردت قائلةً:

- مش عارفة صحيت لقيته.. شكلي كنت بحارب وأنا نايمة .

ظلا يتحدثا لبعض الوقت، واتفقا على معاد لتقابل إلينا الفتاة التي أعجب بها، ولم يتحمل يوسف إلحاح إلينا وأخذ يحدثها عن سلمى ويجيبها عن أسئلتها المتتابعة، وكذلك مجادلتها مع والديها وكعادته لم يقف

في صفها فوالداها يفعلان ما يرون أنه أفضل لها حتى أنهم تراجعوا فيما قالوه ولم يهن عليهما حزنها ووافقا ولكنها لم تقتنع بما قاله أو بالأحرى لم تكلف نفسها عناء الاستماع لما يقوله، ثم حدثته عن الحفلة التي أقيمت البارحة بمدرستها والفكرة المجنونة لهذا العام التي أتى بها مدير مدرستها وكيف أقام بئر الأمنيات وطلب منهم أن يتمنوا أمنية كأفلام الأطفال، وأثناء حديثها سألها يوسف قائلاً:

- واتمنيتي إيه بقى

فابتسمت ابتسامة صغيرة ونظرت له ثم قالت :

- مش هأقولك.

- عشان تتحقق!

- لا... عشان عمرها ماهتحصل

أنصرف بعد أن ودعها وهمت لتدخل بيتها ولكنها وجدت سارة تتصل بها وتطلب منها أن تقابلها حالًا، أحسّت إلينا بأنها تعلقت بطوق للنجاة ينجدها من الدخول لبيتها ومواجهة أحد من والديها.

حين رأت سارة كانت مبتسمة فعرفت حينها أن هناك شيئًا يدعو للبهجة قد حدث فرؤية سارة تبتسم من الممكن أن تصنف من النوادر أو المستحيلات في ظل تلك الظروف، انتابها فضول قوي لتعرف سبب تلك الابتسامة العريضة التي ارتسمت على وجهها العابس الذي كانت قد رأته من ساعتين فقط، فسارعت لتسألها :

- قوليلي إيه اللي حصل بسرعة

- إلينا.. لسه عارفة دلوقتي أن بابا طلق البنت اللي كان متجوزها

ثم اقتربت من إلينا واحتضنتها، شعرت حينها إلينا بسعادة كبيرة لم تكن تتوقع أن تشعر بها إذا سمعت خبر كهذا يومًا ما فقالت لها:

- مبروك يا سارة.. بس كده فيه أمل باباكي ومامتك يرجعوا لبعض
- أنا مش طماعة كده كفاية عليا أوي

عادت إلينا لبيتها بعد أن تركت سارة ودخلت لغرفتها تفكر بما حدث اليوم وكيف تغير كل شيء في يوم واحد، فهي كانت لاتزال البارحة تتمنى بأن يوافق والديها على اشتراكها في المسابقة وكانت تظن أنها أصبحت أمنية مستحيلة التحقيق وفكرت في أن تنهي حياتها حتى لو كان التفكير أستغرق لحظات، وكذلك حزنها على حالة يوسف فقد فقدت الأمل في أن يصبح في حالة أفضل أو أن يفكر في أن يحب مرة أخرى، وأيضًا سارة التي منذ أن عرفتها لم ترها سعيدة بصدق، ملأ قلب إلينا الفرح فكيف أصبح من يوم جديد نورًا يضيء الظلام الذي نشره يوم أمس، ففتحت إلينا مذكراتها اليومية لتكتب :

٢٤ من يوليو ٢٠٢٠

كنت أعتقد أن الحياة لن تصبح أفضل إلا إذا تحقق ما أتمناه ولم أكن أعلم أن من الممكن أن يتغير كل شيء من ليلة وضحاها بل أقل من ذلك دون التدخل أو تجميل الواقع، فاليوم أرى ابتسامة سارة الحقيقية الأولى منذ أن عرفتها وكذلك يوسف الذي لم أتوقع يومًا أن يتخطى ما حدث معه ويجد شخصًا يجعله يريد أن يحب مرة أخرى، ولكني أتمنى حقًّا أن تكون هذه المرة صائبة، والشيء الأكثر جدلًا هو موافقة والدي لاشتراكي في

المسابقة بعد رفضهم المعهود، فهذه المرة الأولى التي أطلب فيها شيئًا منهم ويفكروا ويوافقوا عليه بعد رفضهم.. لم أكن أتوقعها، ولكن أظن أنني سأنتهز هذه الفرصة ولن أضيعها فردي على أمي اليوم كان بالنسبة لي الأخذ بالثأر...

على الرغم من أن اليوم أصبح كل شيء أجمل ولكن هذا ليس معناه إنه سيطول وأنه سيكون بداية لكل شيء سيء، فمن الممكن أن يعود والد سارة للفتاة التي كان متزوجها أو يذهب لأخرى وكذلك يوسف من الممكن أن تفعل تلك الفتاة ما هو أقبح من ندى، وأظن أن والديّ لن يتغيرا أبدًا وإذا وافقا تلك المرة فهناك مرات أخرى تتبعها لن يكلفا نفسيهما حتى لسماعي، فالأقدار لم تكن هينة معنا قط.

انتهت إلينا من الكتابة ثم أغلقت دفترها وفتحت الدرج لتضعه في مكانه ثم سحبت الدفتر الآخر الذي اعتادت أن تكتب فيه ما تريده أن يحدث وتعيد كتابة أحداث حياتها فيه ولكن بالشكل الذي تريده، ولكن في هذه المرة لم تفتح لتزيده شيئًا بل أخذت تمحو كلمات كتبتها فيه من قبل وحين انتهت همت بفتح أخر ما كتبته فيه ولكن قد طُرق الباب فأغلقته مسرعةً وزجت به في الدرج ثم أغلقته، كانت والدتها أمام الباب تنتظر ردها للدخول، حين دخلت ابتسمت ثم اقتربت منها وأمسكت يدها برفق ثم جعلتها تجلس بجوارها على السرير ثم قالت لها :

- إلينا يا حبيبتي.. إنتي عارفة إن أنا أكيد بحبك صح؟

نظرت إلينا بوجه متعجب فلم تعتد على هذا الحنان الزائد من والدتها، ثم قالت :

- هو طبيعي عشان أنا بنتك.
- أكيد.. كمان أنا أكتر واحدة بحبك في الدنيا خصوصًا إنك بنتي الوحيدة وواخدة حبي بالكامل ليكي.. عشان كده يا إلينا، عايزاكي تعرفي أن أي قرار باخده بيبقى عشان مصلحتك.
- ماشي يا ماما
- فامتعنديش وقدمي في المسابقة اللي نفسك فيها.. عشان أنا متأكدة أن بنتي هي اللي هتكسب وحتى لو ماكسبتش هفضل فخورة بيكي
- بجد يا ماما،

ثم دمعت عينا إلينا وحضنت أمها ونسيت كل ما مر البارحة من جدال ونسيت ما قالته بينها وبين نفسها عن والديها وكذلك الأمنية التي تمنتها، فالحياة التي نعيشها لا تنقضي كلها ونحن في كبد، ولعل ما نتمناه ليس خيرًا وأن ما نمر به من سوء هو خير لنا.

خرجت إلينا من منزلها مرة أخرى ولكنها كانت سعيدة في تلك المرة، ذهبت إلى السوبر ماركت وأخذت تتجول به حتى وقعت عيناها على ثلاجة الأيس كريم فتوجهت إليها ووقفت أمامها لا لتبحث عن نكهتها المفضلة مثل كل مرة، فهذه المرة اشتهت نكهة أخرى بدون سبب، فتنبهت لوجود شخص على يمينها يضع يده على وجهه وينظر بتمعن وعينه تبحث هنا وهناك، فوجهت وجهها له ولكنه لم ينتبه لوجودها فابتسمت ثم قالت له :

- أنت بتدور على flavor إيه؟

ليخرج من تأمله على إثرها وينظر لها بدوره لتقع عينيه على عينيها في هدوء حتى مرت بضع ثوانٍ ليستفيق بعد أن نسي ما الذي أتى به إلى هنا فتتحرك تفاحة آدم لديه ولازالت عينيه تحتضن عينيها ثم قال:

- هو أنا بحب الشوكولاتة.. بس بدور flavor على مستكة المرة دي .

فضحكت إلينا فقشعر بدنه وأحس حينها أن شيئًا ما يحدث له، فقالت له مبتسمة :

- بص أنا مش هبلة عشان أضحك من غير سبب.. بس أنا بحب المستكة وبدور على اتشوكلت
- بجد
- أيوة والله أنت متنح كده ليه

فعتدل وأظهر ابتسامة عريضة ثم تنهد قائلًا :

- أصلها حاجة غريبة.. بس أنا حافظ مكان الشوكولاتة هنا

ثم أشار لها على مكانها في الثلاجة، فردّت عليه :

- هو أنت ساكن هنا؟
- آه وإنتي؟
- أنا كمان بس أول مرة أشوفك

فمد يده في توتر قائلا :

- أنا أحمد

فابتسمت ومدت يدها بدورها قائلة :

- وأنا إلينا

ثم قالت بعد أن تركت يده :

- والمستكة هنا أهو

فضحكا ثم بادر بفتح الثلاجة وأطلقت علبتين من الأيس كريم ومد يده ليعطي إلينا علبة الشوكولاتة وأغلق الثلاجة

و أظهر ابتسامة خفيفة ردتها له إلينا في توها ثم قالت :

- ميرسي جدًا

لوح بيده التي كانت تتراقص بشكل خفيف لكن ملحوظ مع نبضات قلبه خالقة جو متوتر أسفر عن ظهور ابتسامة عريضة على وجهه صعب إخفاؤها ثم ودعا بعضهما.

فتحت إلينا غرفتها لتلقي حقيبتها على السرير وتتمدد بجوارها ثم رفعت يديها أمام وجهها رافعة هاتفها المحمول ثم قالت لنفسها بصوت مسموع:

- نفسي ألاقي فيك حاجة تستاهل أشوفها.. أووف مفيش حاجة جديدة

ثم طُرق الباب لتدخل المسؤولة عن التنظيف في البيت لتقوم إلينا جالسة على سريرها، وقالت لها:

- آنسة إلينا فيه حد رنّ الجرس بس ماشوفتهوش وحط الظرف ده قصاد الباب ومكتوب عليه اسمك
- غريبة ماما ماتجاهلتش اسمي وخادتو تقرأه هي ليه
- مامت حضرتك خرجت لما كنتي بره
- توقعت برضو.. تمام شكرًا

أمسكت إلينا بهذا الظرف الذي كان يبدو عليه إنه كان ذا لون أبيض ولكن شكله يدل على إنه مر برحلة مرهقة جعلته مهترئًا، كان مكتوب عليه فقط اسمها بخط يد أحدهم كان يَكْتُبها بهرولة وكأن شيء ما يسارعه، فتحت إلينا الظرف بحذر قائلة لنفسها بصوت مسموع:

- كلاسك أوي.. يا رب يطلع سيكرت كراش أهو أتسلي شوية

و ما إن فتحته حتى وجدت ورقة بيضاء كُتب عليها بحبر أسود كلمات بخط يد أحدهم، وكانت مطوية من منتصفها ففردتها وأخذت تقرأ بصوت مسموع بتريث :

من بين كل الطرق المجهولة المبهمة لي، اخترت هذا الطريق رغم عدم تميزه عن غيره؛ فليس لدي سبب منطقي لاختياره؛ فهو ليس أقصرهم أو حتى أسهلهم، ولكني انجرفت إليه ولم أدرك إلا عند منتصفه بالأحرى لم أجد طريقًا متاحًا غيره

مظلم لا يتبين لي ما على بُعد خطوتين منّي

طويل وكأنه ليس له نهاية

خاوي وكأنه لم يمر منه أحد

إذا توقفت لن يتغير من الأمر شيء، وإذا مشـــيت ظننت أنني أتحرك مكاني

متشابه فلا يتضح أوله من آخره

لا أستمع إلا لصوت الرياح التي تهب من حين لآخر

والتي أتمنى أن تحملني عاليًا؛ لأتمكن من رؤية نهاية هذا الطريق أو تنقلني لطريق آخر تدبّ فيه الحياة

ولكن شـيئًا ما داخلي يخبرني دائمًا أن هذا الطريق كُتِبَ على من قبل أن أُوجَد، لا يحقّ لي أن أغيره أو أعرف متى آخره

فقط كل ما على فعله هو أن أعبره مهما طال أو ضاق أو أظلم فقط كل منّا عليه أن يعبر طريقه.

تم بحمد الله

ببرومينو : تعني القدر باللغة اليونانية

للاستماع لموسيقى رواية ببروميو على اليوتيوب

الفهـرس

الفصل الأول ٩

الفصل الثانى ٢٥

الفصل الثالث ٣٩

الفصل الرابع ٥٥

الفصل الخامس ٦٧

الفصل السادس ٨٥

الفصل السابع ٩٩

الفصل الثامن ١١٧

الفصل التاسع ١٣٧

الفصل العاشر ١٥٥

الفصل الحادي عشر ١٧٣